هيئة كتابة التأريخ

موسوعة التاريخ

العربي الاسلامي

الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات العلمية

الدكتور محمد سعيد رضا



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 08 / شوال / 1443 هـ
في 09 / 05 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي



وزارة الثقافة والاعلام



بغداد ١٩٩١

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

حقوق الطبع محفوظة

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي



هيئة كتابة التأريخ

من مشاهير العرب الاسلامي

الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات العلمية

الدكتور

محمد سعيد رضا

كلية الآداب - جامعة البصرة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٩١

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

المقدمة :

امتلك الشمال العربي الافريقي ارضاً صالحةً لانبات الثقافة العربية الاسلامية ، لانها كانت قد تلاقحت عليها الثقافات القديمة من فينيقية ويونانية ورومانية فضلاً عن ثقافة البلاد الذاتية التي سجلت له الاصالة في هذا الميدان . ولا ادل على ذلك من ان اول كتاب في الفلاحة دُوّنَ في هذه البلاد في العهد القرطاجي من قبل ماكون البونيقي وهو من اشهر المختصين في هذا الحقل[1] . . .

وبطبيعة الحال كانت هذه البلاد ممهدة لاستقبال الثقافة العربية الاسلامية التي اشرقت انوارها مع طلائع حروب التحرير العربية الاسلامية في القرن الاول الهجري . . وبالنظر لسرعة تفاعلها مع معطيات المنطقة الحضارية والفكرية اينعت معالمها في اقل من ثلاثة قرون وتجسدت بشكل واضح في ازدهار الجامعات الكبيرة في امهات المدن المغربية امثال جامعة القيروان في تونس وجامعة القرويين في فاس وجامعة قرطبة في الاندلس . . كما تجلت في تكامل شخصية المغرب العربي الاسلامي العلمية منذ بواكير القرن الخامس الهجري . حتى اصبح المغرب يمتلك خصائص علمية وثقافية مميزةً جعلت منه في وقتٍ ما قبلةً لمحبي العلم والمعرفة في جميع انحاء العالم الاسلامي .

وبناء على ذلك قام العديد من العلماء والادباء والمفكرين والفنانين بزيارة المشرق والمغرب والاندلس في عملية تبادل استمرت طوال العصور العربية الاسلامية ، وبذلك انتقلت معهم التأثيرات الحضارية . . . وتبودلت مفرداتها ، وتعمقت مضامينها وامتزجت

---

١ - انظر ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ، ١٩٨٤م ١/ ٣٩

معانيها المشرقية والمغربية والاندلسية في اطار حضارة عربية اسلامية واحدة عمت منافعها العالم اجمع ، ويستطيع الباحث في هذا الميدان ان يحدد العوامل والمسالك التي من خلالها تبودلت الثقافات بين ارجاء الوطن العربي الكبير في تلك العصور وتعمقت ولا سيما بين حاضرة الخلافة العباسية في العراق وبلدان المغرب العربي الاسلامي كشمال افريقية والاندلس . وبما ان الرحلات العلمية[٢] تحتل الدور البارز في هذا المجال . . . . سنفرد لها الكلام في هذا الكتاب . .

ومن الضروري ان نذكر بان الرحلة في طلب العلم تعني في ميدان التربية العلمية وتقويم اسس التفكير في الاسلام امرين :

اولهما : التأكد من سلامة المنهج النقلي ومن كماله . ويتطلب ذلك تصحيح المتون المروية ، والبحث عن اصولها ، ووصل اسانيدها باصحابها ، والبحث عن اعلى هذه الاسانيد واقومها واصحها . . . . . لان المادة المروية . اذا لم تثبت نسبتها بصورة صحيحة الى اصحابها لا تصلح ان تتخذ اساساً للبحث والدرس وبناء احكام عليها سواء أكانت هذه الاحكام دينية ام علمية ام ادبية . . . .

وثانيهما : تصحيح منهج التفكير ، واقامة اسس على قواعد ثابتة في مقابلة الافكار ومقارنتها وفي التنقيح والتلقيح والاختبار والمفاضلة لتتكامل اصول التفكير وتتعمق موهبة النقد . . . .

---

٢ - في تعريف الرحلة وانواعها ومنها الرحلات العلمية . انظر جعفر حسن صادق : الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق عصر الامارة ١٣٨ - ٣١٦هـ/٧٥٥ - ٩٢٨م رسالة ماجستير غير مطبوعة . كلية الاداب/جامعة الموصل لسنة ١٩٨٥ ص١٤ وما بعدها

المبحث الاول

الرحلات العلمية

١ ـ رحلة العلماء وطلبة العلم :

تقسم الرحلات العلمية بين حاضرة الخلافة العباسية ـ المعبرة عن مكانة المشرق العربي الاسلامي ـ وبين بلاد المغرب العربي الاسلامي على مرحلتين من حيث بدء انطلاقها واهداف اصحابها والمواد العلمية التي نقلتها تلك الرحلات على النحو الاتي :

المرحلة الاولى :

يمكننا عَدُّ الصحابة والتابعين من حفظة القرآن والحديث والفقهاء الذين اصطحبتهم معها جيوش الفتح العربي الاسلامي لافريقية بداية لرحلات علماء المشرق الى شمال افريقية والاندلس . وهي رحلة جماعية مبكرة اذ تؤكد كتب الفتوح دورهم الكبير في تعليم اهل تلك البلاد القرآن والحديث وتعاليم الدين الحنيف وقد وضع

الحافظ ابو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري المعروف بابن بشكوال المولود في قرطبة سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م والمتوفى فيها سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م كتابا عن التابعين الداخلين الى الاندلس بعنوان « التنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين »[١] والكتاب مفقود حاليا . ومن اولئك صالح بن منصور الحميري[٢] والمغيرة بن ابي بردة نشيط بن كنانة العذري[٣] ، والمنذر الافريقي وهو اصغر تابعي دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله (ص)[٤] . وحيان بن ابي جبلة[٥] . . وابو عبد الرحمن عبد الله بن زيد المعافري الانصاري[٦] . وابو ثمامة بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي[٧] وغيرهم . فكان لاحتكاك افراد الجيش العربي الاسلامي المباشر بما فيهم القراء والمحدثون من الصحابة والتابعين بعموم اهل افريقية اثره البيّن في اداء رسالتهم لنشر تعاليم الاسلام في اوساط المجتمع العربي المغربي . فيذكر ابن سلام : ان اول من تعلم القرآن بجبل نفوسة هو عمر بن يمكتن الذي كان يتلقى في طريق « مقمداس » الجند العربي

---

١ ـ ابن الابار : التكملة ـ طبعة الجزائر ١ /٢٨٢ و ٢ /٧٠٤

٢ ـ والحميري من اهل اليمن توجه الى المغرب في الفتح الاول الكائن على يد عقبة بن نافع . انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ٣ /١٧١ ـ ١٧٢ ؛ ابن خلدون : العبر ٦ /٤٣٩ ابن عذاري : البيان المغرب ١ /١٧٦

٣ ـ المقري : نفح الطيب ١ /٢٧٩ ، وذكره ابو العرب في طبقات علماء افريقية باسم « عبد الله بن المغيرة بن ابي برده الكناني » . طبعة تونس صـ ٨٩

٤ ـ الحميري : الروض المعطار صـ ٣ ؛ التكملة ٢ /٧٣١

٥ ـ المقري : المصدر السابق١ /٧٢٨ ؛ ابو العرب : المصدر السابق صـ ٨

٦ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ١ /٢١٢

٧ ـ المقري : نفح الطيب ٣ /٥٦

الداخل الى افريقية فيكتب عنهم لوحة من القرآن ثم يعود الى منـزله ليحفظ ما فيه كي يرجع الى المحجةِ فيكتب لوحةً اخرى كذلك حتى حفظ القرآن وتعلم العلم .[8]

والأهم من هذا ان بعض قواد الخلافة العربية الاسلامية وولاتها في العصر الاموي وبداية العصر العباسي كانوا من ذوي الخبرة المسبقة بمهنة التعليم والتأديب ، فاخذوا على عاتقهم مهمة نشر التعليم في تلك الربوع التي وقعت تحت مسؤولياتهم الإدارية امثال عقبة بن نافع الذي دار مع وجوه عساكره ـ في ولايته الثانية ـ حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ويقول : « يا رب املأها فقهاً وعلماً . . . . . واجعلها عزاً لدينك وذلاً لمن كفر بك »[9] . . وحسان بن النعمان الـذي عهد الى فقهـاء المسلمين تعليم اهل افريقية قواعد الاسلام[10] . ويثني ابن عذاري على موسى بن نصير بهذا الصدد فيقول : « وامر العرب ان يعلموا البربر القـران وان يفقهوهم في الـدين »[11] . واسمـاعيـل بن ابي المهـاجـر المخـزومي والي الخليفـة عمـر بن عبـد العـزيـز عـلى افـريقيـة سنـة ١٠٠هـ/٧١٧ م الذي يقول عنه ابن عذاري : « هو الذي علم اهل افريقية الحلال والحرام وبعث معه عمر (رض) عشرة من التابعين اهل علم وفضل منهم عبد الرحمن بن نافع وسعد بن مسعود التجيبي »[12]

---

٨ ـ الشماخي : كتاب السير ص ١٤٢

٩ ـ احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ص ٢٥٥

١٠ ـ الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص ٤٠

١١ ـ البيان المغرب ١/ ٤٢ ؛ واحصى القيرواني العرب الذين امرهم موسى بن نصير بهذه المهمة بـ(٢٧) المصدر نفسه ص ٦٥

١٢ ـ المصدر نفسه ١/٤٨

وحيان بن ابي جبلة ويقول ابن الابار عن احدهم وهو سليمان بن حميد الغافقي « فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره واحسن الناس لساناً وابلغهم الى المعرفة بايام العرب واخبارها . . وروايـة لوقائعها واشعارها . . . . »[١٣] وكان عبد الرحمن بن معاوية من اهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل .[١٤] وقصص اسد بن الفرات في تربيته للشباب في افريقية وحثه الناس على اقتباس العلم مشهورةٌ ففي احداها قال مخاطباً الجموع الغفيرة الى شيعته مع اهل العلم ورجال زيادة الله الاغلبي وهو يهمُّ بالخروج الى سوسة ومنها الى صقلية : « يا معشر الناس ما ولى لي ابٌ ولا جدٌ ولا رأى احد من سلفي مثل هذا ولا بلغت ما ترون الا بالاقلام فاجهدوا انفسكم وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والاخرة »[١٥] . لذلك ذهب سليمان بن عمران الى القول : « وبسبب اسد ظهر العلم بافريقية »[١٦] . وكانت جهوده مدرسة فريدةً في نقل التربية والثقافة المشرقية الى المغرب . وبهذا الصدد يقول ابن عساكر : « فاذا كان ولاة القيروان من العرب يتعاطون مهنة التعليم في المشرق قبل وفودهم على المغرب فما ظنك بهم في نشر التعليم في المغرب وحث ناشئته على حفظ القرآن واتقان اللغة العربية »[١٧] ويذكر الرقيق القيرواني عن عبد الله بن غانم انه ارسل الى معلم ولده عشرين ديناراً

---

١٣ ـ الحلة السيراء . تحقيق حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٦٣ ص٢١٧

١٤ ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص٣٠

١٥ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ٣٠٥/٣ ـ ٣٠٦ ، النباهي : المرقبة العليا ص٥٤

١٦ ـ المصدر نفسه ٣٠٢/٣

١٧ ـ تاريخ دمشق ٣٠٨/٢ و ٢٥/٣

فاستكثره ، فقال للمعلم « الحرف الواحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها »[18] .

هذا مع توفر الرغبة الشديدة لدى الناشئة المغربية في تلقي التعليم وكسب المعرفة من المشارقة . وكثيراً ما بلغ بهم الشغف ان فضلوها على مزاولة حرفهم اليومية التي يرتزقون منهـا . فقصة عمـر بن يمكتن في حفظه القرآن مارة الذكر توضح لنا جانباً من تلك المحاولات ... سليمان بن عمران عن شاب كان يأخذ العلم على يد اسد بن الفرات ملازماً لحلقته تاركاً بذلك عمله اليومي في حانوته حتى انكر عليه ابن الفرات ذلك قائلاً : « .... ولكن ان عزمت فاجعل لنفسك يوماً او يومين في الجمعة ... انظر الى هؤلاء الذين يأتون من باديتهم ، انما هم اهل حرثٍ وحصادٍ ، فاذا كان وقت حرثهم وحصادهم لم تر احداً منهم يجيء الينا ، فاذا كان انقضى حرثهم وحصادهم عادوا الى ما كانوا عليه من الـدراسة »[19] . تكشف لنـا عن مدى رغبـة اولـئـك بـالتعليم . ويضيف لنا القاضي عياض رواية اخرى توحي بان هذه الرغبة ظلت ملازمة لدى المغاربة لمدة طويلة دون ان تنتهي حين يذكر بان محمد بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ/٨٧٤م) اقام سبع سنين يدرس العلم ولا يخرج من داره الا لصلاة الجمعة .[20] وعندما استعصت على الشاعر الابيض ابي بكر احمد بن محمد قضية لغـوية اقسم ان يقيـد نفسه ـ كـما فعل

---

١٨ ـ تاريخ افريقية والمغرب ص٢٣١

١٩ ـ المالكي : رياض النفوس . نشر حسين مؤنس . مكتبة النهضة المصرية ط. اولى سنة ١٩٥١ ١٨٥/١

٢٠ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٢٤٩/١

الفرزدق ـ حتى يحفظ هذا الكتاب . ولما رأته والدته على هـذه الحال حاولت اقناعه بالعدول عن ذلك فلم تفلح[21] . . . وهم في كل ذلك يبحثون عن ايسر السبل واسرعها للفهم والحفظ ، وبذلك يقول ابو جعفر احمد بن رشدبن القيرواني : « قلت يوماً لشيخي ابي العباس بن زُرزُر : اخبرني بدواء للحفظ . فقال لي : اوما عرفته . قلت : مـا اعرفه . فقال : الدرس بالليل والمناظرة بالنهار ! »[22]

لذلك تركوا لطلبة العلم جملة تـوصيات تمثـل مناهـج تربـوية واخلاقية اقتضى منهم التمسـك بها لينالوا مبتغـاهم من العلم ، قد نكتفي هنا بوصية ابي جعفر احمد بن ابي سليمان داود الصواف الفقيه التي قال فيها : « ياطالب العلم اذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه ادبا تستعين به على طلبه ، واتخذ له بعد طلبه ادبا تستعين به على حمله . ومن ادب العلم الحلم ، والحلم كـظم الغيظ ، وان يغلب علمـك وحلمك هواك اذا دعاك الى ما يشينـك . وعليك بـالوقـار والتعفف والرزانة والصيانة والصمت والسمت الحسن والتودد الى الناس ومجانبة من لا خير فيه ، والجلوس مـع الفقهاء ، وصحبـة الاخيار ومنـابذة الاشرار ، والقول الحسن في اخوانك والكف عمن ظلمك ، ولا تهمز احداً بقول ولا تلمزه ولا يقل فيه ولو كان عدوك . فـان فعلت ذاك شرفت عند العقلاء ، وعرفت حقك الجلساء ، ولحقت بالعلماء وهابك

---

٢١ ـ انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٤٣٧ ؛ المطرب في اشعار المغرب ص٧٦ البيان المغرب ٢/١٣٧ ؛ نفح الطيب ٣/٤٨٩ ؛ د. جودت الركابي : في الادب الاندلسي دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ط ـ ٣ ص٧١

٢٢ ـ عياض : المصدر السابق ١/٢٤٩ ؛ المالكي : المصدر السابق ١/١٩٦

السفهاء ، وحللت محل الابرار وبرئت من الاشرار »[٢٣]

وعلى كل حال جاءت الرحلات العلمية الرائدة الى افريقية وبلاد الاندلس في العصر الاموي في اطار جيوش الفتوح المتوجهة لتحرير الشمال الافريقي العربي من السيطرة البيزنطية . واعطت نتائج مثمرة اثنى عليها كثير من مؤرخينا المعاصرين لاسيما الافارقة منهم. فمثلا يقول حسن حسني عبد الوهاب في كتابه (ورقات عن الحضارة الع... بافريقية التونسية) : « يرجع الفضل الاكبر في الدعاية للاسلام بافريقية الى دولة بني امية ، فما من خليفة منهم الا وقد كانت عنايته متجهةً الى تعميم الدعوة ، وتوطيد اللغة العربية ـ لغة القرآن والحديث ـ وما منهم الا وقد جعل تلك الامنية الغاية الكبرى التي يرمي اليها طموحهم الأسنى »[٢٤] .

وعلى الرغم من قلة الجيوش المشرقية المتوجهة نحو المغرب في العصر العباسي الا اننا قد نلمح بعض الشخصيات العلمية التي رافقت حملات الخليفة ابي جعفر المنصور التأديبية لبعض الثائرين ضد الخلافة في شمال افريقية امثال الحكم بن ثابت السعدي الذي دخل افريقية مع تلك الحملات سنة ١٤٤هـ/٧٦١م وكان شاعراً بليغاً وراوية للادب والاخبار . قد روى عنه الافارقة كثيراً من اشعار الجاهلية والمخضرمين[٢٥] . . وغدا المعمر بن سنان التميمي الذي دخل القيروان سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م عمدة لاهلها ومستشارهم في المهمات

---

٢٣ ـ المالكي : المصدر السابق ١/٤٠٨

٢٤ ـ ١/٧٨

٢٥ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ص١٠٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١/٦٢

والملمات . .[٢٦]

وعرف عن يزيد بن حاتم والي الخليفة هارون الرشيد على افريقية انه نقل مع جماعة من ادباء المشرق وبلغائها وشعرائها ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : ابا اسامة ربيعة بن ثابت الرقي الاسدي والمسهر التميمي[٢٧] . وابا علي الحسن بن سعيد البصري من رجال النحو البارزين في البصرة ومن اشهر المترسلين وكتاب الدواوين[٢٨] . . وابا عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي البصري النحوي من كبار علماء النحو وراوية سيبويه وصاحب حلقة جمعت اهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب والبادية[٢٩] . وقتيبة الجعفي النحوي الكوفي[٣٠] من معاصري ابي زكريا الفراء .

وترك عياض بن عوانه الكلبي الكوفة قاصداً افريقية لتعليم ابناء ولاتها المهالبة . واستقر به المقام في القيروان . فتنعم بظل اميرها يزيد بن حاتم ، وتنعم اهل افريقية بمخزونه الغني من علوم النحو والادب[٣١] ويشير ابو اسحاق الشيرازي الى تلك النعم التي اسبغها الولاة والامراء والاغنياء على علماء المشرق الوافدين على افريقية وذلك في ترجمته لابي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر قائلاً : « وكان فقيها

---

٢٦ ـ المصدر نفسه ص٢٤٢

٢٧ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣

٢٨ ـ السيرافي : اخبار النحاة البصريين ـ طبعة بيروت ص٨٠

٢٩ ـ المصدر نفسه ص٣٣

٣٠ ـ الزبيدي : طبقات النحاة ص٢٦ : الانباري : طبقات النحاة ص٥٦ : ابن الجوزي : طبقات القراء ص٤٠٦

٣١ ـ ياقوت الحموي : معجم الادباء ٥/٩٣و٩٥ : ابن النديم : الفهرست ص١٣٤

متأدباً شاعراً وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه ، وخرج في اواخر عمره الى مصر وحصل به هناك حال من الدنيا بالمغاربة »[٣٢] .

كما ان العصر العباسي الاول قد شهد صورة اخرى للرحلات العلمية الى افريقية منطلقة من حاضرة الخلافة العباسية ـ العراق ـ بوجه خاص . وكان ذلك يمثل تطوراً ايجابياً في طبيعة الصلات الثقافية بين مشرق ومغرب الوطن العربي الكبير . حيث تنوعت المادة العلمية التي حملها معهم رحالة المشرق الى المغرب . ففي الوقت الذي اقتصرت المادة العلمية لعلماء العصر الاموي بشكل اساس على قراءة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتعاليم الاسلام الحنيف اضافة الى قواعد اللغة العربية وآدابها . . نجد علماء العصر العباسي ينقلون معهم الى بلاد المغرب العربي الاسلامي علومهم العقلية والكلامية التي تعتمد على الجدل والمناظرة ، لذلك نستطيع القول ان مرحلةً ثانيةً من الرحلات العلمية قد بدأت . . . . . .

---

٣٢ ـ طبقات الفقهاء ص١٦٨

المرحلة الثانية :

تميزت المدرسة العراقية في العصر العباسي بكفاءة اساتذتها الذين اشتهروا بسعة علمهم وتهافت طلبة العلم على حلقاتهم التدريسية على الرغم من ان الدراسة في العراق كانت تكلف طلبة الرحلة جهدا متواصلاً ومضنياً يصرف له الطالب معظم وقته لينال بغيته وبذلك يقول المالكي : « ولما وصل اسد الى العراق لقي اصحاب ابي حنيفة فسمع منهم ودارسهم فلم يفتح له ما اراد . وكان يجلس في حلقة محمد بن الحسن فلا يفتح له شيء مما يتكلم عليه..)[٣٣] والى مثل ذلك اشار ابو عمران الفاسي قائلاً : « رحلت الى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والاندلس عند ابي الحسن القابسي وابي محمد الاصيلي وكانا عالمين بالاصول فلما حضرت مجلس القاضي ابي بكر بن الطيب ورأيت كلامه في الاصول والفقه على المؤالف والمخالف حقرت نفسي وقلت : لا اعلم من العلم شيئاً ورجعت عنده كالمبتدىء »[٣٤] .. وكذلك لم يستوعب ابو بكر الطرطوشي على الرغم من علميته العالية محاضرة مدرس المدرسة العادلية ببغداد عندما تطرق الى مسألة قال فيها : « اذا تعارض اصل وظاهر ؟ فايهما يحكم » واستطرد الطرطوشي قائلاً : « فما علمت ما يقول ولا دريت الى ما يشير حتى فتح الله وبلغ بي ما بلغ »[٣٥] .

---

٣٣ ـ رياض النفوس ١ / ١٥٤ ؛ الدباغ : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان تونس (١٣٢٠هـ/١٣٢٥هـ) ٢ / ٥

٣٤ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧ / ٤٧

٣٥ ـ الضبي : بغية الملتمس ص١٢٥ ، وفيه ان الطرطوشي لم يرحل عن الاندلس الى العراق الا بعد ان لزم الباجي وتفقه عليه

كما تميزت موضوعاتها المتنوعة في الفقه والحديث وعلم القراءات وعلم اللغة والنحو والطب والحساب والفلك بخصوصية المناهج التعليمية المعقدة التي اعتمدت المناظرة والجدل وطرح المسائل المفصلة بحرية تامة في الرأي .... وقد اكسبتهم المناظرات المفتوحة هذه خصوصية لم تتوفر في مدارس الاقطار العربية الاسلامية الاخرى .

فهذا ابو عمر بن احمد بن محمد بن سعدي تلميذ ابو بكر محمد بن عبد بن صالح الابهري يصف احدى تلك الحلقات التي حضرها قائلاً : « اول مجلس حضرته : فرأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها ، المسلمون من اهل السنة ، واهل البدعة والكفار .... ولكل فرقة رئيس يتكلم عن مذهبه ويجادل عنه ، فاذا جاء رئيس من اي فرقة كان قامت الجماعة اليه قياماً على اقدامهم حتى يجلس فيجلسون ، فاذا غصَّ المجلس باهله ورأوا انه لم يبق لهم احد ينتظرونه .... يتناظرون بحجج العقل وما يحتمله النظر والقياس ..... ثم قيل لي ثَمّ مجلس آخر للكلام فذهبت اليه فوجدتهم على مثل سيرة اصحابهم سواء ..... »[٣٦] .

وقد نقل المغاربة انماطا من الجدل والمناظرات الى بلادهم فهذا ابو مروان عبد الملك بن العاص بن محمد (ت ٣٣٠هـ/٨٤٣م) قد شهد في بغداد مجالس المناظرة طيلة ثلاثة اعوام حتى غدا متصرفا في علم الرأي حسن النظر فيه ....[٣٧] وذكر القاضي عياض في ترجمته لابي الوليد الباجي قائلاً : « ولما قَدِمَ الاندلس وجد لكلام ابي حزم طلاوةً

---

٣٦ ـ الضبي : نفس المصدر ص١٤٥

٣٧ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس . الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م ص٢٧٣

الا انه كان خارجاً على المذهب . ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلتهِ وكلامهِ واتبعه على رأيه جماعة من اهل الجهل وحلَّ بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه في ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة »[٣٨] . .

ومن الجدير بالذكر ان كلا الرجلين اغترفا من معين العلم بالعراق .. وهكذا اصبح للعراقيين علمٌ خاص بهم تميزه المادة العلمية والمنهج.. لذلك نصح مالك بن انس تلميذه اسد بن الفرات ان يترك حلقته ويلتحق بمدارس العراق ليتعلم فيها حيث المناظرة والجدل اللذان يحققان له رغبته التي لمسها لديه من خلال اسئلته وطروحاته والتي توضع في سياق (ان كان كذا كان كذا!) او كما يقول عنها القاضي عياض (أخال وأحسب وأظنُ..)[٣٩] وقد استجاب ابن الفرات ورحل الى العراق ولما عاد الى القيروان قال عنه البعض : «كان اسد اعلم العراقيين بالقيروان كافة ومذهبه السنة لايعرف غيرها»[٤٠] وقال ابو بكر المالكي في ترجمته لابي محمد عبد الله بن فروخ : «وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن انس ، وبصحبته اشتهر وبه تفقه لكنه كان يميل الى النظر والاستدلال. فربما مال الى اقوال اهل العراق فيما تبين له منه الصوات » لانه كان قد دخل العراق واخذ عن ابي حنيفة

---

٣٨ ـ نقلاً عن نفح الطيب للمقري ٢/ ٦٨

٣٩ ـ ترتيب المدارك ٣/ ٢٩٥و٢٩٦

٤٠ ـ عياض : ترتيب المدارك ٣/ ٣٠٢

والاعمش وغيرهما[41] . وكذلك قال ابن وضاح : « كان اهل الحجاز واهل العراق يحتاجون اليه في علم العراق . وكان عنده علم كثير »[42] .

وقد تلمس هذه الميزة في الموضوعات الفقهية اكثر من غيرها حيث نالت بغداد سبقاً في تدريسها لان استيعابها كان يتطلب جهداً كبيراً وعمقاً في التفكير وصبراً في التتبع والتقصي المستمر الطويل الامد ، ومن خلال وقوفنا على تراجم الفقهاء والاعلام كأبي عبد الله محمد بن قاسم بن سبار القرطبي[43] (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) الذي دخل العراق سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦ م وابي الوليد سليمان بن خلف الباجي[44] (٤٧٤هـ/ ١٠٨١ م) الذي تجول قرابة ثلاث عشرة سنة في العراق ومدن المشرق الاخرى طلبا للعلم والسماع ومحمد بن عبيد بن عيسى بن حبيب الاندلسي (ت ٥٥١ هـ/١١٥٦ م) الذي (صرف عمره في طلب العلم)[45] والفقيه الاحدب وابي علي الحسن بن ابراهيم الجذامي الذي لازم الدار قطني عند دخوله بغداد سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١م[46] . وابي عبد الله محمد بن عبد الله السلمي المرسي[47] الذي درس الفقه

---

٤١ ـ المصدر نفسه ٣/١٠٢ وانظر ابو العرب : طبقات علماء افريقية وتونس ص١٠٧

٤٢ ـ المصدر نفسه ٣/٢٣١

٤٣ ـ انظر التكملة لابن الابار ص٨٣٤

٤٤ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٢/١٤٢ : ابن عذاري : المصدر السابق ١/٤٠٤

٤٥ ـ المقري : المصدر السابق ٢/١٣٧

٤٦ ـ ابن الابار : التكملة ص٢٥٨

٤٧ ـ ياقوت الحموي : معجم الادباء ١٨/٢٠٩ : الصفدي : الوافي بالوفيات ٣/٣٥٤

والخلاف والاصلين بالنظامية سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م وغيرهم يتأكد لنا ذلك .

كما ان المدرسة المستنصرية التي تعد اول جامعة عراقية بل اول جامعة اسلامية في العالم جمعت فيها المذاهب الفقهية في بناية واحدة ، تدل دلالة واضحة على خصوصية المدرسة العراقية وعلى مدى حرية الفكر والبحث وتسامح العلماء ، وان الخليفة المستنصر بالذات ـ كمعظم خلفاء بني العباس ـ كان فوق الاهواء والنزعات المختلفة ولم يكن عنده تعصب على مذهب وبذلك يقول الدكتور ناجي معروف : « يمكننا ان نلمس هذه الحقائق في الحرية التي كان يتمتع بها العلماء والفقهاء في الدراسة والمواد التي كانوا يدرسونها وفي اتباعهم المذهب الذي يريدونه وفي الاصرار على الاخذ بارائهم دون الخضوع للحكومة في كثير من الاحيان مع ان الحكومة كانت تؤيدهم وتساعدهم وتمدهم بكل شيء . . . . »[٤٨] . وهذا بالطبع لايقلل من دقة المنهج العلمي بالنسبة للموضوعات الاخرى فمثلا قضى كل من احمد واخيه عمر ابني يونس بن احمد الحراني عشرة اعوام في رحلتهما من المغرب الى المشرق والتي دخلا خلالها بغداد ودرسا فيها الطب على اشهر اطبائها يومذاك امثال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة حيث قرءا عليه كتاب جالينوس ، ودرسا امراض العين على ابن وصيف الطبيب البغدادي ثم انصرفا الى

---

٤٨ ـ تاريخ علماء المستنصرية ـ بغداد ـ مطبعة العاني . ط. اولى ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ص٤٣

الاندلس ودخلا في دولة المستنصر في سنة ٣٥١ هـ/٩٦١ م [٤٩] . وابو عبد الله محمد بن عبدون العذري انفق وقتا طويلاً في دراسة الطب ابان رحلته الى العراق التي تجاوزت ٢٣ عاماً وعاد بعدها الى بلاده سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م وهو طبيب لايجارى . قال عنه صاعد : « تمهر في الطب ونبل فيه واحكم كثيراً من اصوله وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة »[٥٠] وطالت رحلة ابي مروان عبد الملك بن ابي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي (ت ٤٢٢ هـ/١٠٣٠ م) الى العراق حيث رجع من بغداد بعلم بز به علماء زمانه في الطب وطار ذكره في اقطار الاندلس والمغرب[٥١] ودرس محيي الدين بن عربي بن محمد الحاتمي الكيمياء التطبيقية في العراق سنة (٥٩٨ هـ/١٢٠١ م) وقال مفاخرا : « اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب »[٥٢] وابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي الضرير (ت ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م) الذي غدت له بغداد هالة فقصدها لدراسة علم الحساب على الرغم من عاهته في العمى والعجز واصبح فيه اماماً اذا نطق علم كل منصفٍ حقهُ .[٥٣]

---

٤٩ ـ ابن جلجل طبقات الاطباء والحكماء . تحقيق فؤاد رشيد ـ القاهرة ١٩٥٥م ص١١٢ : ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ تحقيق د. نزار رضا ـ بيروت ١٩٦٥م ٢/٤٢

٥٠ ـ الطبقات ص٨١ : ابن جلجل ، المصدر نفسه ص١١٥

٥١ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ٢/٢٦٥

٥٢ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤/١٧٣ ـ ١٧٤ : الحنبلي : شذرات الذهب ٥/١٩٠

٥٣ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ١/١١٧

هنالك فيض من الامثلة التي يصعب حصرها والتي في مجموعها تدلل على طبيعة الموضوعات ومناهجها والتي انكب الوافدون من بلاد المغرب على دراستها والارتشاف من مناهلها عن طريق اساتذة عظام . . . لذلك ظلت بغداد ومدن العراق الاخرى طوال العصر العباسي تشكل مركز استقطاب لطلبة العلم من مختلف انحاء العالم وبضمنهم اهل المغرب حتى اصبح من ينال اجازة علمية على ايدي علماء العراق تغمره الثقة العالية بالنفس والافتخار على من سواه من اقرانه . . . والى ذلك يشير القرطبي في تفسيره فيذكر : « ان قاسم بن اصبغ قال : لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فاخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبي (ص) : « انه قدم عليه قوم من مضر مجتابي النمار » فقال : انما هو مجتابي الثمار ، فقلت : انما هو مجتابي النمار هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق . فقال له بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ؟ ونحو ذلك . . . . . »[٥٤]

بعد هذا قد يسهل علينا تحديد الاهداف والدوافع التي من اجلها قصد علماء المغرب وطلبة العلم فيه العراق وتأتي في مقدمتها :

اولاً : شغف المغاربة بالعلم والسعي لكسبه متخطين من اجله الصعاب لا سيما وان الفقهاء منهم قد جعلوا الرحلة في طلب العلم سبيلا الى توثيق علومهم وتزكيتها عملاً بما اشار اليه الامام مالك بن انس بقوله : « لا يحمل العلم عن اهل البدع كلهم ، ولا يحمل عمن

---

٥٤ ـ المقري :المصدر السابق ٢/ ٤٨ . ومسدد : هو مسدد بن احمد انظر عنه ترتيب المدارك للقاضي عياض ٧/ ٢٢٨

يكذب في حديث الناس وان كان في حديث رسول الله (ص) صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذي سمعه وبين الله تبارك وتعالى »[٥٥] .

وان كتب الرجال مليئة بالاخبار التي تؤيد بان جميع العلماء الذين دخلوا بغداد عادوا الى بلادهم محملين بكنوز العلم والمعرفة التي اثارت اعجاب اهل المغرب والاندلس عند سماعها او الوقوف عليها ، وسنورد اسماءهم في ثنايا هذا الكتاب .

ثانياً : كانت الاعمال التجارية تشكل سبيلاً اخر دفع بالتجار ان يسافروا الى تلك الديار لانجاز صفقاتهم التجارية مصطحبين معهم ابناءهم للتزود معاً بعلوم المشرق وما يلقى في حلقات الدرس هناك وفي هذا الاطار جاءت رحلة ابي العلاء عباس بن ناصح الثقفي الذي رحل به ابوه صغيراً الى مصر ثم الى العراق فتلقى علومه على البصريين والكوفيين حتى اصبح له حظ في الفقه والرواية ومن اهل العلم باللغة العربية فضلاً عن اجادة الشعر والادب . ورحلة المحدث الاندلسي محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بابن الاحمر .[٥٦] وعبد البر بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى القرطبي[٥٧] . وعبد الله بن يحيى الليثي[٥٨] . وقاسم بن عاصم بن خيرون المرادي[٥٩] . وابي محمد

---

٥٥ ـ المقري : المصدر نفسه ٢/٥٠٧

٥٦ ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣/٢٧

٥٧ ـ ابن الفوطي : تاريخ علماء الاندلس ص٢٤٧ ـ ٢٤٨

٥٨ ـ المصدر نفسه ص٢٥١

٥٩ ـ المصدر نفسه ص٣٥٨

قاسم بن اصبغ الحجري الاشبيلي[٦٠] . وابي الحسن سعد الخير محمد بن سهل الاندلسي[٦١] وابي القاسم عبد العزيز بن جعفر الفاسي البغدادي الذي رحل الى بغداد مشتغلا فيها وسمع الكثير من علمائها حتى توفى فيها سنة ٣٤١ هـ/٩٥٢ م وابي محمد عبد الله بن مسرة القرطبي الذي رحل به اخوه ابراهيم بن مسرة التاجر الى المشرق فلازم علماء البصرة[٦٢] . وابي بكر بن العربي الذي رحل مع ابيه الى المشرق سنة ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م في رحلة العلم والتجارة وتخلف عنه هناك منكبا على الدرس والمتابعة في مدن الشام والعراق ولاسيما بغداد[٦٣] .

ثالثاً : ان العدد الغفير من العلماء الذين قصدوا مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ارتشفوا من علم علمائها وسمعوا من محدثيها وتلقوا الفقه على يد أئمتها ، وانتقلوا بعد انتهاء مراسيم الحج الى العراق لكسب الزيادة العلمية والمعرفية المتميزة في هذا البلد . وان مراجعة سريعة للجزء الثاني من كتاب نفح الطيب يوضح لنا ذلك . ومن اعيانهم على سبيل المثال لا الحصر قاسم بن اصبغ بن يوسف ابو محمد البياني الذي حج الى مكة سنة ٢٧٤ هـ/٨٨٧ م ودخل العراق (سنة ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م)[٦٤] . وابو عبد الله محمد بن قاسم بن سيار القرطبي (ت ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م[٦٥] والقاضي ابو محمد عبد الله بن ابراهيم

---

٦٠ ـ المصدر نفسه ص٣٦٣

٦١ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٤/١٢٨

٦٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ص٢١٧

٦٣ ـ نفح الطيب ٢/٢٨ و٣٥

٦٤ ـ الحميدي : جذوة المقتبس ص٣١١ : ابن الفرضي : المصدر السابق ١/٤٠٦

٦٥ ـ المصدر نفسه ص٨٠ : ابن الفرضي المصدر نفسه ٢/٤٨

المغربي (ت ٣٩٢ هـ/١٠٠١ م)[٦٦] والقاضي ابو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ/١٠٨١ م)[٦٧] وابو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن ابي حاج الغفجومي[٦٨] . وابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م) الذي دخل بغداد والبصرة عن طريق الحج سنة ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م[٦٩] . والقاضي ابو علي الصدفي الحسين بن محمد الذي حج سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨ م ورحل الى البصرة ثم دخل بغداد سنة ٤٨٢ هـ/١٠٨٩ م ومكث فيها خمس سنوات[٧٠] . ومحمد بن عبد الله بن تومرت المعمودي (ت ٥٢٤ هـ/١١٢٩ م)[٧١] . وسوار بن طارق القرطبي مولى عبد الرحمن بن معاوية[٧٢] . وابو بكر محمد بن عيسى ويعرف بابن زوبع من اهل سبته[٧٣] .

واذا كنا قد تكلمنا في اطار هذه الرحلة الى توجه المغاربة الى المشرق بالدوافع المذكورة اعلاه . فلابد من القول بان العصر العباسي

---

٦٦ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٣/٦٤٠

٦٧ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ٣/٣٤٤ : ابن بسام : الذخيرة ٢/٣٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم الادباء ١١/٢٤٦ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ٢/١٤٢ ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ١/٤٠٤

٦٨ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ٣/٢٤٧ ـ ٢٤٨

٦٩ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٣/٣٩٣ ؛ ابن عذاري :المصدر السابق ٢/٤٢٤ ؛ ابو المحاسن النجوم الزاهرة ٥/٢٢١ ؛ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ٤/٦٢

٧٠ ـ ابن عساكر : التهذيب ٤/٣٥٩ ؛ البغدادي : هدية العارفين ١/٣٩٦

٧١ ـ ابن الفرضي :تاريخ علماء الاندلس٢/٢٦ ؛ الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـالقاهرة ١٩٥٤ ص٢٨٢

٧٢ ـ ابن عساكر : المصدر نفسه والصفحة

٧٣ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/١١٢

قد شهد ايضا هجرة علمية معاكسة من المشرق باتجاه المغرب فمنذ القرن الثالث الهجري اصبح لهذه الرحلات هدف واضح يخطط له من قبل العالم المشرقي الراحل الى المغرب متحسباً لما يناله او يعترضه في طريق رحلته . كما تنوعت دوافعها واسبابها : فمنها كانت بدافع نشر العلم المجرد . وبعضها جاءت بدافع التكسب بالعلم من قبل العلماء الذين عضهم الفقر بانيابه او رحلوا بقصد مزاولة اعمال تجارية في بلاد المغرب . . . فلم يبخلوا بعلمهم فنشروه في الاوساط الاجتماعية والثقافية التي احتكوا بها . كما ان فريقاً من علماء الجغرافية والتاريخ قصدوا البلاد المغربية للتعرف على مجاهيلها واماكنها وجمع الاخبار عن احوالها واحداثها ومجتمعاتها . . . . في حين كان هناك الكثير من العلماء الذين فروا الى تلك الديار تحت وطأة المضايقات السياسية والمذهبية التي تعرضوا لها ، ولا سيما ايام المحنة التي تعرض لها اهل الحديث على يد دعاة القول بخلق القرآن من المعتزلة وذلك منذ ان اتخذ المأمون الاعتزال مذهبا رسمياً للدولة العباسية . فجاء هذا السبب مشجعاً لاولئك العلماء في الرحيل الى بلاد المغرب حيث الارض الصالحة لاستقبالهم بعيداً عن اضطهاد دولة الاعتزال المأمونية وملاحقتهم بضرورة الانصياع لتعميم القول بخلق القرآن بقوة السلطة . كما حصل مثلا للعجيلي ابي الحسن احمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم الامام الحافظ القدوة الذي قال عنه عباس الدوري الحافظ : « كنا نعده مثل احمد ويحيى بن معين » رحل الى المغرب وسكن فيه للتفرد والتعبد . وقيل انه فرَّ الى هناك ايام المحنة وتوفي في طرابلس سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م وترك خلفه كتابا مفيداً في الجرح والتعديل يدل على سعة حفظه وكتب الرجال

حافلة بالاخذ عنه[٧٤] .

ومن المفيد ان نذكر بان اولئك الرحالة لم يكونوا على جهل باحوال تلك الديار وما تملكه من عناصر اجتذاب لهم ويأتي في مقدمة ذلك معرفتهم بمدى رغبة اهل افريقية في التعليم والتعلم واكتساب المعرفة . ومدى تشجيع امراء تلك البلدان ووزرائها للوافدين عليهم من العلماء . ولنا في بطون التاريخ امثلة وافية لكل حالة قد حصلت بها رحلة علمية الى تلك البلاد في القرن الثالث الهجري والقرون اللاحقة له . والتي تبلور للقارىء والمتتبع صورة عن المكونات الاساسية للنهضة العلمية والحركة الفكرية التي بلغت ذروة ازدهارها في القرون الثلاثة (الثالث والرابع والخامس) للهجرة تمثلت في مدارسها الجامعة العظيمة في القيروان وفاس وقرطبة تلك الجامعات اللغوية والنحوية التي غدت موئلاً يأتيها دارسو الادب واللغة العربية باصولها وفروعها من انحاء المغرب . واصبحت في وقت ما ذات مكانة علمية لا تقل عن مدارس المشرق الاسلامي . . . . وسوف نشير هنا بايجاز واقتضاب الى بعض التراجم التي تمثل نماذج لألمع وابرز من تصدروا تلك الرحلات والذين اسهموا كرواد في بناء نهضة المغرب العربي الاسلامي العلمية . ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ - زرياب علي بن نافع (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٥ م) :

مولى الخليفة المهدي العباسي الذي كان يعده الكثيرون مخزنا للفن البغدادي الاصيل ، لانه كان مكتنزاً بالابداع في مجال الموسيقى

---

٧٤ - انظر كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي - تحقيق نور الدين ص١٨٠ ، والهامش رقم ١ في نفس الصفحة

والغناء . . . رحل الى بلاد المغرب واستقر به المقام في الاندلس . حيث ترك اثاراً كبيرة جداً في المجتمع الاندلسي الفني ما زالت حتى اليوم نلمسها في الغناء الاندلسي المعروف بالموشحات . . . وادخل فنوناً جديدة في الموسيقى والغناء . . . مع ان كتب الاخبار تحدثنا عن قابلياته في مجال العلوم ذات الصلة بالموسيقى والغناء كاطلاعه الواسع في العلوم اللغوية والادبية وفي التاريخ حتى قيل ان الامير عبد الرحمن بن الحكم كان يذاكره ايضا في احوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء . فوجد فيه بحراً زخر عليه مده وراقته اقواله ومعلوماته[٧٥] . وتوفي زرياب في قرطبة سنة ٢٣٠ هـ/٨٤٥ م مقر اقامته الطويلة ومنصة شهرته الواسعة في دنيا الموسيقى والغناء . وادخل زرياب في الاندلس بعض التحسينات على العود . . . وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني والحانها . ويلم بمجموعات الكواكب والنجوم وحركاتها واختلاف طبائع الاقاليم وسكانها . . . . .[٧٦]

وقد اثر في المجتمع الاندلسي تأثيراً كبيراً سنفصل القول فيه عند الحديث عن اثر المدرسة العراقية في الحياة الثقافية والاجتماعية لبلاد المغرب .

٢ ـ اسحاق بن عمران الملقب بسم ساعه (ت ٢٩٤ هـ/٩٠٧

---

٧٥ ـ الدكتور خالد الصوفي : تاريخ العرب في الاندلس ص٢٢٥

٧٦ ـ انظر ابن دحية : المطرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٤ ص١٤٧

م)[77] الطبيب البغدادي الحاذق بمهنة الطب والخبير باصول الاوائل واقوال الفلاسفة اليونانيين ، والشامل الاحاطة بما وصلت اليه العلوم العقلية في العصر العباسي من رقي وتقدم في بغداد وصاحب المصنفات العديدة في مجال الطب والطبيعة التي صنفها بعد ان استقر به الرحال في افريقية . لكن الدهر لم يبق منها سوى (المالنخوليا) Meiancolia في امراض الوسواس وطريقة معالجته لها . عاش في القيروان تحت كنف اميرها ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب . وقد اثنى عليه ابن جلجل في كتابه طبقات الاطباء والحكماء بقوله : « وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة ، وكان طبيباً ، حاذقا مميزاً بتأليف الادوية المركبة .... »[79] . وقال عنه صاعد الاندلسي « وهو الذي الف بين الطب والفلسفة بديار المغرب »[80] . وبناء على ذلك يمكننا اعتبار اسحاق المؤسس الاول للمدرسة الطبية في عموم افريقية .

٣ ـ ابو يعقوب اسحاق بن سليمان الكحال (ت ٣٢٠ هـ/٩٣٣ م وصل الى القيروان قادماً من بغداد سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م ودخل في خدمة الامير الاغلبي زيادة الله لقاء راتب سنوي مقداره

---

٧٧ ـ يذكر ابن عذاري خطا انه توفي سنة ٢٧٩ هـ . البيان المغرب ١٦٢/١ وانظر ترجمته في ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ٣٥/٢ ـ ٣٧ . مسالك الابصار للعمري ج' ق' ورقة ٥٧٦ ـ ٥٧٧

٧٨ ـ ابن جلجل : المصدر السابق ص٨٥ ؛ وذكر ابن ابي اصيبعه مجمل مؤلفاته ـ عيون الانباء ٣٥/٢ ـ ٣٦ واحصى البغدادي مؤلفاته بـ(١١) كتاب ـ هدية العارفين ١٩٨/١

٧٩ ـ ٢٥/٢

٨٠ ـ طبقات الامم ص٨٥

(٥٠٠) دينار . وقد وصفه ابن جلجل بانه (كان طبيباً فاضلاً بليغاً عالماً بتقاسيم الكلام وتفريع المعاني ، مشهورا بالحذق والمعرفة . جيد التصنيف بالعربية . وكان مع فضله في صناعة الطب بصيراً بالمنطق متصرفاً في ضروب المعارف »[٨١] . وله تواليف عديدة في ميدان الطب لم يسبقه احد الى مثل بعضها ككتاب البول وكتاب في الحميات وكتاب النبض وكتاب في الغذاء والدواء وله في الفلسفة كتب ايضاً منها : بستان الحكمة وكتاب في الحدود واخر في المنطق وكتاب في الترياق[٨٢] ودرس الطب عليه عدد من الافارقة من اشهرهم احمد ابن الجزار القيرواني[٨٣] .

٤ ـ ابو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي المتوفي سنة ٢٩٨ هـ/٩١١ م تلميذ الحافظ المبرد وثعلب وابن قتيبة . وقد روى عن ابي تمام والبحتري وعلي بن الجهم دواوينهم العظام . وجالس مشاهير الكتاب امثال سعيد بن حميد وسليمان بن

---

٨١ ـ طبقات الاطباء والحكماء ص٨٧ وفيه انه تتلمذ على يد اسحاق بن عمران الطبيب البغدادي

٨٢ ـ المصدر نفسه والصفحة ، انظر بقية مؤلفاته في عيون الانباء لابن ابي اصيبعه ٣٢/٢ وفي معجم الادباء لياقوت ١٣٦/٢ ـ ١٣٧ : مسالك الابصار للعمري . مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة ج٥ ق٢ ورقة ٥٧٧ ـ ٥٧٨ : بروكلمان ٢٣٥/١

٨٣ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ١٣٦/١ : هو احمد بن ابراهيم بن ابي خالد الجزار القيرواني توفي سنة ٣٦٩هـ . معجم الادباء لياقوت الحموي ١٣٧/٢ وفي جذوة المقتبس للسهيل المعروف بابن الخطيب ورقة ١٠ انه توفي سنة ٣٩٥هـ وفي هدية العارفين للبغدادي انه مات مقتولاً سنة ٤٠٠هـ وانظر في ترجمته ايضا عيون الانباء ٣٧/٢ ـ ٣٩ : مسالك الابصار ج٥ ق٢ ورقة ٥٧٨ ـ ٥٧٩ : بروكلمان ٢٣٨/١

وهب واحمد بن ابي طاهر وغيرهم . رحل عن بغداد الى بلاد المغرب وجال في بلدانه وعبر الى بلاد الاندلس ثم عاد منها الى افريقية حيث استقر به المقام في القيروان وتولى رئاسة ديوان الرسائل لاميرها ابراهيم الثاني ورئاسة بيت الحكمة للامير زيادة الله الثالث فضلاً عن زعامة ديوان الانشاء . وبقي محافظاً على مكانته لدى العبيديين لما امتلكوا البلاد من الاغالبة . ووصفه ابراهيم الرقيق القيرواني قائلاً : « وكان ضاربا في كل علم وادب . كتب بيده اكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته . حكي انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد . . . . »[٨٤]

٥ ـ محمد بن حوقل النصيبي البغدادي

طاف ابن حوقل ـ العالم الجغرافي والتاجر الموصلي ـ ارجاء الشمال العربي الافريقي ببلدانه وشعابه كافة ضمن جولة بدأت سنة ٣٣١ هـ/٩٣٢ م من اسيا واستمرت ٢٨ عاماً زار خلالها مدن المغرب الاقصى المهمة ومنها فاس ومراكش وطنجة التي عبر منها الى بلاد الاندلس . والف خلال رحلته هذه كتابه المشهور بـ (المسالك والممالك والمفاوز والمهالك)[٨٥] وصف فيه بلاد المغرب بشماله الافريقي والاندلس وضمنه ادلة دقيقة من حياة البلاد الاجتماعية والاقتصادية ، مبرزاً فيها بهاء العاصمة قرطبة التي ينعتها ببغداد الثانية[٨٦] .

---

٨٤ ـ انظر ترجمته في ابن الابار : التكملة ١/١٩٠ ؛ ابن عذاري : المصدر نفسه ١/١٥٠ ، البغدادي : هدية العارفين ١/٤

٨٥ ـ عباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ٤/٥ ـ ٨

٨٦ ـ وعن دوافع رحلته . انظر عبد الواحد ذنون طه : دراسات اندلسية ـ جامعة الموصل ١٩٨٦ ص٢٠٥

٦ ـ اسماعيل بن القاسم المعروف بأبي علي القالي (٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) لقبه الاندلسيون بالبغدادي .... رحل من بغداد الى بلاد المغرب ومنها الى قرطبة سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١ م نال رعاية الحكم المستنصر الاموي . واشتهر بحلقاته التدريسية التي املى فيها على الاندلسيين كتابه المعروف بـ (الامالي) والف لهم كتباً عديدة . واخذ عنه كثيرون امثال الشاعر الرمادي الذي روى عنه كتابه النوادر . وابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ، ابرز علماء الاندلس ووحيد عصره في علم النحو واللغة والادب التي درسها على ابي علي القالي ...

وغدت للقالي البغدادي مكانة مرموقة بين كبار علماء الاندلس وادبائها لانه « كان احفظ زمانه للغة ارواهم للشعر واعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين واكثرهم تدقيقا ... »[٨٧] . حتى توفى بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م

ومن الملاحظ ان تصاعد التنافس بين دويلات الطوائف الاندلسية الاولى (٢٣٨ ـ ٣٠٠ هـ/٨٥٢ ـ ٩١٢ م) كان يشكل عنصر اجتذاب رئيس لعلماء المشرق حيث عاش عدد كبير من الشعراء والكتاب في كنف زعماء العرب الذين استقلوا عن قرطبة في تلك الحقبة ومنهم بنو حجاج في اشبيلية وقيل ان احد زعماء هذه الامارة العربية وهو ابراهيم بن الحجاج كان ينافس امير قرطبة الاموي في اجتذاب العلماء والشعراء والفنانين حتى انه عندما علم بالمغنية العراقية المشهورة (قمر البغدادية) بعث في طلبها فاستجابت وقدمت الى اشبيلية ونشرت فنها في الاندلس .

---

٨٧ ـ الضبي : احمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : بغية الملتمس ٢١٨/١

لذلك نستطيع القول ان الرحلات العلمية والفنيـة بين حاضرة الخلافة العباسية في العـراق وبلاد المغـرب استمرت حتى في فترات الاضطراب او الضعف السياسي الذي انتاب مشرق الخلافة العربية الاسلامية ومغربها . ولتوكيد ذلك نشير الى بعض الرحلات التي سبقت سقوط بغداد على يد المغول بسنوات قليلة . ففي سنـة ٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م مثلاً رحل احد البغداديين وهو (محمد بن ابي بكر بن رشيد الوتري جمال الـدين ابو عبـد الله البغدادي) الى بـلاد المغرب العربي فاقام بمدينة مراكش مـدة ثم رحل عنها الى الاندلس ودخـل غرناطة وغيرها وانعم على اهلها بما يملك من علم ثم قفل راجعا الى مراكش حيث استقر بها مدة وتركها عائدا الى تونس فتوفى فيهـا سنة ٦٦٣ هـ/١٢٦٤ م . وكان جمال الدين البغدادي هذا على درجة من العلم والادب والقدرة على الوعظ . نال به اعجاب مجـالسيه الـذين استقبلوه بكل حفاوة وتكريم حتى قال فيه احدهم ، وهو هارون بن عبد الله بن محمد بن هارون السماني الاشبيلي نزيل مراكش قصيـدة مطولة جاء فيها :

أواعظنا جُلْتَ لدينا بِكَ النعمىٰ ... فنلنا الذي كنـا نهيم به قُدما
واهَدَتْ لنا بغدادُ منكَ غريبةً ... فلله ما ابهىٰ سناها وما اسمىٰ
حديقةُ فضلٍ اينعت زهراتها ... فقد حَسُنَتْ مرأىً وفاحت لنا شما
الا يا جمالَ الدين يا فخرَهُ لقد ... اصاب الذي سماكَ في كل ماسمىٰ
ببغدادَ هامَ القلبُ منك وحُبها ... لعَمرِكَ حبٌ خالط الدم واللحما[88]

---

٨٨ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٢٧٦ ، وفيه دخل مراكش في بداية سنة ٦٥٥هـ وتوفي سنة ٦٦٣هـ

كما رحب به عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن في قصيدة مطولة جاء في مطلعها :

اهلاً وسهلاً بمن اهدته بغذانُ ومرحباً مرحباً حيّاهُ رضوان[89]

وكذلك الحال بالنسبة الى شمس الدين ابي المعالي محمود بن ابي القاسم الذي ورد المغرب على عهد الناصر من بني عبد المؤمن بافريقية ودخل تونس وافاض بعلمه على اهلها وطلبة العلم فيها فنال ثناءهم ومدحهم الذي لخصه ابو زيد الفازاراني بقصيدة مطولة جاء فيها :

العالم العلم الذي تزهى به ارض العراق الى اقاصي الصين
يدري افانين العلوم باسرها والناس يفتنون في افنون
ساوى لديه معلم متعلماً اذ كلهم في رتبة التلقين
يا طالباً للعلم هاك نصيحة لمجرب في نصحه مأمون
لا تعدلن بأبي المعالي غيره فتقيس مضنوناً على مظنون

وكان ابو المعالي ـ عاد الى العراق وتوفي فيه ـ هذا متضلعاً من فقه الشافعي متقدماً في الكلام فصيحاً في المناظرة ، سديد العبارة عن

---

٨٩ ـ عباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ص٢٤٦ ـ ٢٥٢ ، وقد روى عنه بمراكش جماعة منهم عبد الحق بن رشيد وابو محمد عبد الواحد بن ابي زيد بن ابي زكريا بن ابي حفص بن عبد المؤمن وابو مخلوف بن موسى المشاط والقاضي وغيرهم انظر الذيل والتكملة ق' ص٢٧٤

اغراضها ، ذا حظ وافر من الادب ، ناظماً ، ناثراً حسن المحاظرة طيب المحادثة . . . .[٩٠]

اما يونس بن مهذب الدين عثمان الحسني المازندراني ويلقب بنجم الدين الذي تجول بين العدوتين ، فدخل غرناطة واشبيلية ومراكش ، وافاد بعلمه الغزير اهلها ونظم بحقه ابو الحسن سهل بن مالك قصيدة قال في مطلعها :

سرى النجم نجم الدين للغرب قاصداً من الشرق كي يلقي سراج المعارف

واثنى عليه نثرا فوصف مجلسه العلمي قائلا : « مجلسه لمذهب الفضل مدرسة ، وحفظه لكتب البلاد فهرسة . من جالسه ساح به حيث ساح ، وناوله من اخبار البلاد مسنداتها الصحاح ، فادنى منه صينها وعرض عليه نصيبينها واحله بلخ وما اليها ، ونزل به الكرخ وما حواليها ، وقطع به السماوة ومهامهها واراه الغوطة وخمائلها ومصر ومنازلها . . . »[٩١] كما ان هشام بن محمد الفقيه والراوية العراقي المكنى بابي الوليد قدم الى قرطبة سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م وتنافس الناس في الاخذ منه .[٩٢]

وبعد هذا لا ارى موجبا للإطناب في ذكر اسماء الفقهاء والعلماء الذين ينتمون الى حاضرة الخلافة العباسية في نشأتهم وثقافتهم والذين قاموا برحلات علمية الى بلاد المغرب لانهم قد نالوا النصيب الوافر من اهتمام المؤرخين والمختصين بالتأليف في تراجم الرجال .

---

٩٠ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٣٦٨ ـ ٣٧٢

٩١ ـ المصدر نفسه ق١ ص٤٦٢ ـ ٤٧٣

٩٢ ـ المصدر نفسه ق١ ص٥٦١

٢ - رحلة الكتب :

شهدت الصلات الثقافية بين المغرب ومشرق الخلافة العربية الاسلامية في العصر العباسي حركة واسعة في انتقال الكتب المؤلفة والمستنسخة من المشرق باتجاه المغرب وبالعكس وقد روّج لهذه الظاهرة الحكام والعلماء على حدٍ سواء . ودفعوا من اجل توفيرها مبالغ طائلة في اثمانها وربما ذهب بعضهم الى حد التفاخر والتباهي بشرائها كما اظهروا اعتزازاً كبيراً في اقتنائها فقد عرف عن الامير الاغلبي ابراهيم الثاني انه (سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م) كلف اعضاء سفارته السنوية الى دار الخلافة العباسية في « اقتناء نفائس ما يوجد في بغداد مما لا نظير له في انحاء المغرب »[٩٣] لاسيما في علوم الفلسفة والكلام والفلك وفنونه التي كان الامير مولعاً بها . واذا علمنا ان السفارة كانت تنفذ الى بغداد في السنة مرتين ادركنا حجم الكتب المنتقاة التي كانت تجلب من بغداد الى المغرب حيث كان الامير الاغلبي يسعى جاهداً لجعل عاصمته رقادة ترقى الى مستوى بغداد وسامراء والفسطاط وغيرها من امهات المدن المشرقية وبالهمة نفسها تابع حفيده آخر امراء دولة الاغالبة في افريقية عملية جمع الكتب وتطوير مكتبته المعروفة ببيت الحكمة كي تماثل دار الحكمة ببغداد : لذلك « جلب اليها نفائس المخطوطات والادوات العلمية مما جعل بلاطه نادياً ثقافياً يفتخر به بين الامم المعاصرة »[٩٤] . كما جعل

---

٩٣ ـ حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ق١ ص١٩٦ . وابراهيم الثاني هو ابو العباس ابراهيم بن احمد الاغلبي دامت امارته من سنة ٢٦١هـ وحتى سنة ٢٨٩هـ انظر محمود اسماعيل الاغالبة مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ١٩٧٨ ص٦٠

٩٤ ـ المصدر نفسه ق ١ص٣٣٠

اروقتها تموج بالفلاسفة والاطباء والعلماء وارباب الفنون من العـراق ومصر والقسطنطينية .

ومما لاشك فيه ان العبيديين الذين استحوذوا على املاك الاغالبة وغيرهم في بلاد المغرب الاوسط قد نهجوا نهج الاغالبة في اقتناء الكتب المشرقية حيث جلبوها من اليمن والشام والحجاز والعراق وخاصة ما جلبوه من بغداد وسلجية ، يؤكد ذلك جعفر بن علي الحاجب في اشارته الى ضياع كتب عبيد الله المهدي اثناء انتقاله الخفي من مصر الى بلاد المغرب .[95] وعرف المعز لدين الله الفاطمي برغبتـه الكبيرة في نقـل الكتب الى افريقية فقد روى المقريزي ان « ابا جعفر مسلم بن عبيد الله لما قدم الى المعز لدين الله المصحف الكبير الذي يذكر انه كان ليحيى بن خالد بن برمك . . . قال لمسلم اراك معجبا به وهو يستحق الاعجاب ولكن نفـاخرك نحن ايضـا . فدعـا بمصحف في نصفين . . . فقـال المعز : وهذا خط المنصور العباسي واذهابه وتجليده بيده . . . »[96] ولما حمل اليه محمد بن عمر اليمني عالم صنعاء سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م كتابه الـذي الفه مضـاهاة لكتـاب كليلة ودمنة نـال من لدن الامـير جزاء

---

٩٥ ـ سيرة المهدي الفاطمي . نشر و. ايفانوف. مجلة كلية الاداب بالجامعة المصرية كانون الاول مجلد الرابع سنة ١٩٣٦ ص١١٥ . ويذكر ابن عذاري : انها اي الكتب استرجعت سنة ٣٠١هـ بعد حروب دارت بين القائم بن عبيد الله الفاطمي وبربر برقة وادخلت خزانة رقادة ثم نقلت الى المهدية ومنها الى منصورية القيـروان . البيان المغرب ١/ ١٧٠

٩٦ ـ اتعاظ الحنفا ـ طبعة القدس سنة ١٩٠٨ ص٩٩

عظيماً .[٩٧]

اذا كانت القيروان ورقادة والمنصورة على عهد الاغالبة والعبيديين احدى المراكز الرئيسة في شمال افريقية لاقتناء الكتب المشرقية فان فاس هي الاخرى كانت على عهد الادارسة ومن تبعهم مركزاً مهماً لجمع امهات الكتب المشرقية ، لاسيما وانها كانت تحتضن جامعة القرويين التي تعد من اقدم المؤسسات العلمية في بلاد المغرب حتى ان بعض المؤرخين قد ذكروا بان احد بني الملجوم قضاة فاس واصلائها بيعت اوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة الاف دينار[٩٨] .

وهناك محطة تالية عرفت باستقبالها لكتب ومؤلفات المشرق العربي الاسلامي وهي بلاد الاندلس خاصة على عهد امرائها الاعلام امثال عبد الرحمن الثاني : الذي كان موصوفاً بثقافته الواسعة وعلمه الغزير وشغفه العالي بالفنون وتذكر لنا المضان انه قرأ كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدي الذي حمل اليه بوساطة تاجر عراقي وعندما استعصى عليه فهمه استعان بالاستاذ عباس بن فرناس الذي كشف له ان الكتاب ناقص من اوله . فارسل الامير حينذاك في طلب الجزء الناقص بحيث سهل على ابن فرناس قراءة الكتاب وفهمه وشرحه

---

٩٧ ـ اثبت ابن عمر اليمني بان جميع المعاني الحكيمة الواردة في كتاب كليلة ودمنة الهندي الاصل موجود في الادب العربي الجاهلي منه والمخضرم . وبذلك لم يبق للاعاجم فضل على العرب في هذا المجال . ولكتاب اليمني هذا نسخة مخطوطة في مكتبة الفاتيكان بروما . انظر هامش رقم (١) في كتاب ورقات لحسن حسني عبد الوهاب ق١ ص٣٣٦

٩٨ ـ المقري : نفح الطيب ٢/٥٠٢

للناس . وبذلك يعد ابن فرناس اول من اخذ عنه علم العروض في الاندلس وقد منحه الامير ثلاثمائة دينار وكساه[99] . . . علما بان الخشني في كتابه طبقات الفقهاء والمحدثين يذكر بان ثابت بن محمد العوفي السرقسطي (ت ٢٩٤ هـ/٩٠٦ م) هو « اول من ادخل الاندلس كتاب العين للخليل بن احمد . . . . »[100] . وكان لعبد الرحمن الناصر دور كبير في انتشار الكتب المشرقية في الاندلس ـ وخاصة كتب الطب والعلوم ـ وفي ذلك يقول ابن جلجل : « ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد فتتابعت الخيرات في ايامه ، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم . . وقامت الهمم ، وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الاطباء المشهورين »[101] . واشتهر الحكم المستنصر بحبه للعلوم وتكريم اهله وجمعه للكتب على اختلاف انواعها وفنونها . . فاجتمع منها مالم تجتمع لاحد من الملوك قبله ، حتى تجاوزت كتب مكتبته بقرطبة عن (٤٠٠) الف مجلد ادرجت في اربع واربعين فهرسة في كل فهرسةٍ عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين ! . . . . . وقيل انه استقدم من بغداد عدداً من النساخ والمجلدين والمزخرفين الذين كانوا يعملون تحت اشراف موظف موهوب من حاشيته . . . .[102]

وكان الحكم يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا يزودهم

---

٩٩ ـ العبادي : من التاريخ العباسي والاندلسي ص٢٦٣

١٠٠ ـ ورقة ١٦٦ ا وانظر ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٤٩

١٠١ ـ طبقات الاطباء والحكماء ص٩٧

١٠٢ ـ ابن الابار : الحلة السيراء ص١٠١ ; بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص٧٠

بالمال الكثير . . . فقد اوفد شاعره عباس بن ناصح الى العراق للبحث عن الكتب القديمة واستنساخها فجمع له منها طائفة كبيرة . وبعث في كتاب الاغاني الى مؤلفه ابي فرج الاصفهاني بالف دينـار من الذهب ثمناً . . . . وكذلك فعل مع ابي بكر الابهري في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم[103] . . . مما حدا بابن حزم الى القول بانه « ملأ الاندلس بجميع كتب العلوم[104] . لاسيما وان حركة انتقال الكتاب من المشرق الى بلاد المغـرب العـربي الاسـلامي قـد بلغت ذروتهـا في القـرن الـرابـع الهجري/العاشر الميلادي « بحيث استطاع حكام الاندلس ان يجندوا لهم كتابا في المشرق يعملون لحسابهم »[105] .

والشواهد تدلنا على ان بلاد المغرب كانت طوال العصر العباسي خير مورد لمؤلفات المشرق حتى ان المقري في كتابه نفخ الطيب يشير الى ان ابا الحسن علي ضياء الدين (ت ٦٠٢ هـ/١٠٢٥م) حمل شرحه لكتاب سيبويه الى صاحب المغرب فاعطاه الف دينار[106] . وربما قدم له كتابه الاخر (شرح جمل الزجاجي) ايضا . وبعث الفرج بن ابراهيم ابو ياسر البغدادي كتابه في الطبيب والتطبيب الى المقتدر بالله ابي جعفر احمد بن سلمان بن هود صاحب سرقسطة الذي سماه باسمه[107] .

---

١٠٣ ـ ابن خلدون : العبر ـ طبعة بـولاق ١٤/٤ ؛ محمد عبـد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة ص٢٦٤ ؛ بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص٥١

١٠٤ ـ جمهرة انساب العرب ـ طبعة القاهرة ١٩٤٨ ص٩٢

١٠٥ ـ عبد الواحد ذنون طه : دراسات اندلسية ص١١٢

١٠٦ـ ٢/ ٧٣٤

١٠٧ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٢٥٩

ومن الجدير بالذكر ان اقتناء الكتب المشرقية لم يقتصر على جهود الامراء وكبار رجال الدولة فحسب بل شمل عناية بقية افراد المجتمع كالعلماء الذين كانوا يبغون الفائدة العلمية البحتة والاغنياء والمدفوعين بعامل التقليد والتفاخر او التباهي بامتلاك الكتب النفيسة وتزيين مكتباتهم الخاصة بها . . لذلك دفعوا المبالغ الباهظة في شرائها ونقلها اليهم . . فقد قيل ان ابا القاسم البغدادي باع في القيروان سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م وهو في طريق رحلته الى قرطبة احمالاً كثيرة من نفائس المؤلفات المشرقية الادبية واللغوية والشعرية والتاريخية بمبالغ جزيلة(١٠٨) . هذا فضلاً عن كتابه الامالي الذي املاه على اهل الاندلس وانتفعوا به كثيراً(١٠٩) . وان عيسى الجزولي اول من ادخل (صحاح الجوهري) الى المغرب(١١٠) كما ان ابا عبد الله محمد بن بسام الضبي السوسي عند عودته من رحلته الى العراق ادخل افريقية كتباً غريبة : ككتاب المغيرة بن عبد الحكم وكتاب ابن كتانه وابن دينار وكتب بيده كثيراً من كتب المشرق حتى عده البعض من اكثر رجال القيروان ـ في عصره ـ امتلاكاً للكتب(١١١) . . ويورد القاضي عياض : ان كتاب ابي بكر الابهري نقل بواسطة عيسى بن سعدان الكلبي القرطبي (ت

---

١٠٨ ـ ابن خير الاشبيلي : فهرسة ما رواه عن شيوخه ط. ثانية. منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ص٣٩٥

١٠٩ ـ المصدر نفسه ١٨/٣ ؛ حسن حسني : ورقات ق١ ص٣٤٣

١١٠ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ص٢٤٧ ـ ٢٤٨

١١١ ـ قيل ان اصله البصرة توفي في السوس سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م انظر ازهار البستان في طبقات الاعيان لاحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ١٠٥١هـ ـ مخطوط الخزانة الحسنية ـ الرباط رقم ٤١٧هـ ص٣٠

٣٩٠ هـ/ ٩٩٩ م) وقد حدث به الناس في الاندلس[١١٢] . وان جودي بن عثمان النحوي العبسي الطليطلي العائد من رحلته المشرقية اول من ادخل الى الاندلس كتاب الكسائي والفراء وغيرهما[١١٣] . وان مكتبة عبد الله بن حيان الاروشي نزيل بلنسية (ت ٤٨٧ هـ/١٠٨٥ م) التي صودرت من قبل ابن ذي النون صاحب بلنسية حوت على ١٤٣ عدلا من اعدل الحمالين ـ كتبا ـ يقدر كل عدل منها بعشرة ارباع ، وقيل انه كان قد اخفىٰ منها نحو الثلث[١١٤] .

فضلا عن كل ذلك فقد كان لطلبة الرحلات العلمية دور واضح في نقل المؤلفات المشرقية الى المغرب بعد رجوعهم من المشرق حيث كانوا يروون الكتب التي اجيزوا باملائها من قبل اساتذتهم ، فيذكر ابن الفرضي في ترجمته لابي محمد عبيد الله بن محمد بن قاسم ابن هلال القرطبي (ت ٢٧٢ هـ/٨٨٥ م) انه لقي ابا سلمان داود بن سليمان القياس وكتب عنه كتبه كلها وادخلها الاندلس[١١٥] . . . . . وان محمد بن عبد السلام بن ثعلبة (ت ٢٨٨ هـ/ ٩٠٠ م) : « اِدخل الاندلس كثيراً من حديث الائمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلي رواية »[١١٦] . اما ابو بكر فرج بن سلام القرطبي الذي لقي عمرو بن بحر الجاحظ

---

١١٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ص٣٣٧

١١٣ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ص٣٣ ، طبقات النحويين واللغويين ص٢٥٦

١١٤ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٣٢٦

١١٥ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ق١ ص٢١٩ ؛الخشني : طبقات الفقهاء والمحدثين ـ مخطوطة ـ ورقة ١٧٣

١١٦ ـ المصدر نفسه ق١ ص١٥

واخذ عنه كتابه البيان والتبيين وغيره من مؤلفاته قد ادخلها الى الاندلس رواية عنه[117] . كما ادخل ابو سليمان ايوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش بن اليان القرطبي (ت ٣٢٦ هـ/٩٣٧ م) الى الاندلس كثيراً من كتب العراقيين[118] . . ويذكر ابن الفرضي بان يحيى بن اصبغ بن خليل القرطبي (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م) درس على ابي سعيد المسعري في بغداد كتاب الخلفاء للمدائني ونقله الى الاندلس[119] . . . وقرأ الناس على عبيد الله بن محمد بن القاسم بن حزم الثغري (ت ٣٨٣ هـ/٩٩٣ م) بعد عودته من المشرق الى قرطبة سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م وبذلك يقول ابن الفرضي : « واخذنا عنه مما لم يكن عند شيوخنا : كتاب معاني القرآن للزجاج »[120] . وعن عبيد الله بن ابراهيم الاصيلي (ت ٣٩٢ هـ/١٠٠١ م) انه قرأ على الناس كتاب البخاري برواية ابي زيد المروزي وغير ذلك عند رجوعه الى الاندلس قادماً من بغداد وكذلك جمع كتابا في اختلاف مالك والشافعي وابي حنيفة سماه كتاب الدلائل على امهات المسائل[121] .

كما ان تبادل الرسائل العلمية بين علماء جناحي الخلافة العربية الاسلامية في هذه الحقبة من الزمن كانت سبيلاً آخر لانتقال المعرفة المشرقية الى بلاد المغرب لاسيما وان الرسائل كانت تشكل جزءاً مهماً من حركة التأليف يومذاك . فقد عرف عن ابي محمدبن عبد الله بن فروخ

---

١١٧ ـ المصدر نفسه ق ١ ص٣٥٠

١١٨ ـ المصدر نفسه ق ١ ص٨٧

١١٩ ـ المصدر نفسه ق ١ ص١٨

١٢٠ ـ المصدر نفسه ق ١ ص٢٤٢ ـ ٢٤٥

١٢١ ـ المصدر نفسه ق ١ ص٢٤٩

الفاسي انه كان يكاتب مالكاً وسفيان الثوري وغيرهما وكان مالك يجيبه عن مسائله حيث تفقه في حديثه[١٢٢] . . وعمد ابو عمر بن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م) القرطبي الى مراسلة علماء المشرق امثال ابي القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وابي ذر الهروي للوقوف على كتبهم وعلومهم[١٢٣] .

ومما لاشك فيه ان اغلب الذين عادوا من رحلتهم المشرقية تحدثوا وَرَوَوا والفوا فيما اكتسبوا من علوم ومعارف مشرقية . وكانت بعض تلك المؤلفات ذات قيمة إذ انكب على قراءتها وسماعها الناس بشغف بالغ ونستدل على ذلك بمؤلفات ابن حزم وبقي بن مخلد العديدة والقيمة[١٢٤] . . وبتآليف ابي بكر المعافري التي تجاوزت الاربعين[١٢٥] . وبمؤلف ابي العباس احمد بن قاسم الاقليشي في معاني القراءات الذي الفه بعد عودته من بغداد الى الاندلس[١٢٦] . وسنن محمد بن عبد الملك بن ايمن القرطبي (٢٥٢ ـ ٣٢٣ هـ/٨٦٦ ـ ٩٣٤ م) التي اخرجها على سنن ابي داود[١٢٧] وسنن ابن قاسم بن اصبغ ابن واضح ابو محمد القرطبي (ت ٣٤٠ هـ/٩٥١ م) التي اخرجها على هيئة صحيح

---

١٢٢ ـ القاضي عياض : المصدر السابق ١٠٣/٣

١٢٣ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٣١٤/٣ ـ ٣١٥

١٢٤ ـ محمد بن الحارث الخشني : طبقات الفقهاء والمحدثين ـ مخطوطة المكتبة الحسنية ـ الرباط رقم ٦٩١٦ ورقة ١١٥٩ ـ ١١٦٦

١٢٥ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٨٣

١٢٦ ـ شكيب ارسلان المصدر السابق ٤٧/٢

١٢٧ ـ السيوطي : طبقات الحفاظ ص٣٤٧

مسلم[128] . وكتاب شرح الموطأ لابي الوليد الباجي في عشرين جزءاً[129] . وكتاب القبس في شرح موطأ ابي انس لابن العربي وترتيب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي وكتاب حديث جابر في الشفاعة وكتاب شرح حديث ام زرع[130] وكتب ابن ابي الربيع السبتي في شرح سيبويه ، والافصاح في شرح الايضاح لابي علي النحوي وشرح الجمل لابي القاسم الزجاجي[131] وكتاب شرح ايضاح : ابو علي النحوي جملة وشرح شواهده مفردة لعيسى بن عبد العزيز يلبخت الجزولي[132] . . وشرح ابي الحسن بن خروف على كتاب سيبويه[133] سماه تنقيح المقال في شرح غوامض الكتاب ، وشرح ثابت بن محمد ابو الفتوح الذي قدم الاندلس سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م على كتاب الجمل للزجاجي[134] وشرح الجرفي على كتاب الكسائي في

---

١٢٨ ـ السيوطي : المصدر نفسه ص٣٥٢

١٢٩ ـ المقري : نفح الطيب ٢/ ٦٩

١٣٠ ـ المصدر نفسه ٢/ ٣٦

١٣١ ـ د. محمد حجي : المدرسة النحوية الاندلسية المغربية ودور سبته فيها . مقالة في كتاب سبته دورها في اثراء الفكر الاسلامي ـ تطوان ١٩٨٤ ص٩٥

١٣٢ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٢٤٨ ؛ واشار ابن خلكان الى بعض مؤلفات الجزولي التي لم يذكرها المراكشي فقال : « وسمعت له امالي في النحو ولكنها لم تشتهر ورايت له مختصر الفسر ؟ لابن جني في شرح ديوان المتنبي » وفيات الاعيان ٣/ ٤٨٤

١٣٣ ـ فضائل الاندلس واهلها . رسالة ابي سعيد ص٢٠٦ ، وهو علي بن محمد الحضرمي الاشبيلي وله شرح على كتاب الجمل للزجاجي (انظر الذخيرة السنية لعلي بن ابي زرع ص٤٧)

١٣٤ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٢٣٧

النحو[135] ورسالة يوسف بن موسى بن ابـراهيم الهواري المـراكشي المعروف بابن لاهية التي ادرج فيها شواهد كتاب سيبويه على طريقة ابي الحسن بن حريق في ابيات الجمل[136] . وكتاب شرح رسالة ابن ابي زيد لابي بكر الطرطوشي[137] وله كتاب مختصر تفسير الثعـالبي ايضا .. وشرح ابي القاسم ابراهيم بن محمـد بن الافليلي لشعـر المتنبي[138] . وشرح ابي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي والحماسة[139] ولا ادل على ذلك من كون ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الذي دخـل بغداد سنـة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م كـان يعـرف بـالمغـارب والمشارق لانه الف كتابا عن المغرب سماه(المُغْرب في حلى المَغْـرِب) وآخـر عن المشرق سمـاه (المُشرق في حـلى المَشْرِق)[140] .. وكتـاب (صفوة الادب وديوان شعر العرب) لابن قـرقـول وضعـه على غـرار الحماسة لأبي تمام[141] .

هذا في وقت شاع فيه عمل النسخ والجمع وهي ظاهرة اطلق عليها في المشرق (حرفة الوراقة) التي كان لها دور كبير في ازدياد الكتب

---

١٣٥ ـ المصدر نفسه ص٥٢٥

١٣٦ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق٢ ص٤٣٧

١٣٧ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٣/ ٣٩٤

١٣٨ ـ فضائل الاندلس واهلها : رسـالة ابن حزم ص١٦ L — soufia Khaled,
Los Bumu yahnarcn Cordodba — Espend

١٣٩ ـ المصدر نفسه رسالة ابن سعيد ص٢٦

١٤٠ ـ المقري : المصدر السابق ٢/ ٢٧٢

١٤١ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/ ٦٢ وفيه ترجمة لابن قرقول . وكان الصفوة عند اهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق ابن خلكان ٧/ ١٣٦

وتداولها بين الناس[142] فهذا ابو الفضل احمد بن الوزير الاعلمي علي بن حميد التميمي يتخلى عن طلب المناصب السياسية وينقطع الى العلم والعناية بجمع الكتب ونسخها وتصحيحها[143] وكذلك فعل علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفقيه وزير عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر بالله حين (نبذ الوزارة واطرحها اختياراً . . وقبل على قراءه العلوم وتقييد الاثار والسنن . فنال من ذلك مالم ينل احد قبله بالاندلس . وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في اصول الفقه وفروعه) .[144] ويقول الكانشي عن مكتبة عيسى بن مسكين (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٢ م) : « ادخلني عيسى مدة قضائه برقادة بيتاً مملوءاً بالكتب من جمعه وقال : كل هذه الكتب روايةً لي وما فيها كلمة غريبة الا وانا احفظ شاهدا من كلام العرب »[145] وينقل المالكي في كتابه رياض النفوس عن محمد بن بسطام بن رجاء الضبي (ت ٣١٣ هـ/٩٢٥ م) انه : « كتب كتبا كثيرة »[146] . وكان حمدون بن مجاهد الكلبي (ت ٢٢١ هـ/٨٢٥ م) نساخا (لايكتب الا عن فهم ، ويضبط المشكل ويحب نشر العلم واذاعته)[147] وينقل عنه صاحبه ابو بكر ميسرة بن مسلم قوله : « كتبت بيدي هذه ثلاثة آلاف وخمسمائة

---

١٤٢ ـ انظر شكيب ارسلان في الحلل السندسية ص٩٦ وفي ترجمته لابي عبد الله محمد بن سليمان الوراق (ت ٥٤٨هـ) انه كان يبيع الكتب في دكان له .

١٤٣ ـ القاضي عياض : المصدر السابق ١٧/٢

١٤٤ ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص٧٢

١٤٥ ـ ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٨٠

١٤٦ ـ رياض النفوس ٨٥/٢

١٤٧ ـ القاضي عياض : المصدر السابق ١٧/٢

كتاب »[148] ، وكانت له رحلة الى المشرق نسخ هناك اكثر دواوين العلم وكان حسن النقل والضبط[149] .

وكانت بعض الكتب المشرقية المستنسخة تنقل الى المغرب او تستنسخ على ارض المغرب حتى قيل بان في ضاحية قرطبة الشرقية لوحدها مائة وسبعين امرأة يعملن في نقل نسخ القرآن بالخط الكوفي[150] . ويذكر لنا المراكشي ان الخليفة عبد المؤمن الموحدي كان يملك نسخة من كتاب الحماسة وكانت نسخة اخرى لدى ابي جعفر الحميري يقرأ مقاطع منها على الناس[151] وتم نسخ كتاب الاغاني عن الاصل الذي اهدي الى الحكم المستنصر الاموي حيث يقول ابو بكر محمد بن الوزير ابي مروان (ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م) « بينما انا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل ناسخ امرته ان يكتب لي كتاب الاغاني . . . . . »[152] ويشير المراكشي ايضا الى نسخة من شعر ابي الطيب المتنبي وجدها عند عصام بن ابي جعفر احمد بن محمد الحميري . وبوقوفنا على نص الخبر المطول يتبين لنا دور النسخ والاملاء في ازدياد حجم المكتبة الاندلسية وقد جاء فيه : « وقدرأيت عنده نسخة من شعر ابي الطيب قُرئت عليَّ او اكثرها فألفيتها شديدة الصحة فقلت له . لقد كتبتها من اصل صحيح وتحرزت في نقلها . فقال لي : ما يمكن ان يكون في الدنيا اصل اصح من الاصل الذي كتبت منه ! فقلت

---

١٤٨ ـ المالكي المصدر السابق ١/٧٦

١٤٩ ـ القاضي عياض : المصدر السابق ٢/١٧

١٥٠ ـ بروفنسال : اسبانيا المسلمة في القرن العاشر ص٢٣٣ ـ ٢٣٤

١٥١ ـ المعجب ص٣٣٢و٤٢٩

١٥٢ ـ المصدر نفسه ص١٣٣

له : اين وجدته ؟ قال : هو موجود الان بين ايدينا وعندنا ! وكنا في المسجد في زاوية . فقلت له اين هو ؟ فقال لي : عن يمينك ! فعلمت انه يريد الشيخ فقلت : ما على يميني الا الاستاذ ! فقال لي : هو اصلي وباملائه كتبت كان يملي علي من حفظه ! فجعلت اتعجب ، فسمع الاستاذ حديثنا ، فالتفت الينا وقال : فيمَ انتما ؟ فاخبره ولده الخبر . فلما رأى تعجبي قال : بعيداً ان تفلحوا ايعجب احدكم من حفظ ديوان المتنبي ! والله لقد ادركت اقواما لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً ! »[١٥٣] فمثلا ابو مروان عبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩ هـ/١٠٩٥ م) امام اللغة في قرطبة واحد تلاميذ ابن الافليلي عكف على دراسة كتاب سيبويه ثمانية عشر عاماً ويقول عن نفسه « طريحتي في كل يوم سبعون ورقة »[١٥٤] .

فضلاً عن كل ذلك اقدم علماء المشرق الذين رحلوا الى بلاد المغرب على تأليف العديد من الكتب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مجموعة الكتب التي الفها ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي البغدادي للمنصور بن ابي عامر ككتاب الفصوص الذي الفه على نحو كتاب النوادر لابي علي البغدادي وكتاب آخر على نحو كتاب الخزرجي ابي السري سهل بن ابي غالب الذي سماه كتاب الهجفجف

---

١٥٣ ـ المعجب ص٤٣٠ ـ ٤٣١

١٥٤ ـ ابن بشكوال : الصلة ٣٤٦/١ : السيوطي : بغية الوعاة ١١٠/٢ : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ١١٥/١ ، وانظر

EL — soufi, Khaled Los Banu yahwar en cordoba — Espena 1968, p. 195 — 198

بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخرمة ابن انيف وكتاب آخر في معناه سماه كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب[155] . . .

وفي مراجعة لموجودات المكتبة الحسنية في الرباط ـ المملكة المغربية يتضح لنا الرصيد الهائل من الكتب المشرقية وشروحاتها الخطية في صنوف العلوم المتنوعة التي انتقلت في مدد متفاوتة من العصور الوسطى الى بلاد المغرب العربي على الرغم من الاندثارات التي حصلت لكثير منها بسبب الظروف والاحداث التي تعرضت لها تلك البلاد .

---

١٥٥ ـ المراكشي : المعجب ص٥٣ ، الضبي : بغية الملتمس ص٣٠٨

٣ ـ مرحلة التكافؤ والتناظر

كان ابناء المغرب في القرون الثلاث الاولى من الهجرة ينظرون بشوق وتلهف لعلوم المشرق العربي الاسلامي وقد سعوا لاقتباسها سواء كان ذلك عن طريق استقبالهم لعلماء المشرق او بشدهم الرحال لطرق ابواب مدنه العلمية الشهيرة كمكة والمدينة في الحجاز وبغداد والبصرة والكوفة والموصل في العراق ودمشق في الشام والفسطاط في مصر . . ولا ادل على ذلك مما يذكره القاضي عياض عن المحاورة التي دارت بين الجبنياني والخراساني قائلاً : « ولما ورد ابو حامد الخراساني افريقية وصل الى الجبنياني فسلم عليه وقال : جئتك من خراسان زائراً . فقال له الشيخ ان صدقت فانت احمق وان قبلت انا هذا ، فانا احمق منك كيف تترك العراق ومن بها من العلماء ثم حرم الله وحرم رسوله (ص) والشام ومصر وتأتي الى المغرب الى شيخ جبنيانة تقول له هذا ؟ »[١٥٧] .

على انا يجب ان نذكر انه بعد انقضاء هذه المرحلة بدأت لدى العائدين من رحلاتهم العلمية المشرقية مشاعر الثقة العالية بامكاناتهم العلمية الذاتية والمقتبسة وظهرت الرغبة في موازنة تلك العلوم بنظائرها في المشرق بغية توثيقها وتقييمها من حيث الكفاءة والتقنية وبذلك يقول القاضي عياض في ترجمته لابي محمد بن حزم القلعي الاندلسي

---

١٥٦ ـ انظر فهارس الخزانة الحسنية للمخطوطات الاعداد ١و٢و٣و٤ الرباط ـ المملكة المغربية والمطبوعة بتاريخ ١٩٨٠ و١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٥ على التوالي .

١٥٧ ـ الجبنياني : هو ابو اسحاق من قرية جبنيانه من اعمال القيروان . انظر عياض ترتيب المدارك ٦/٢٣٢؛ الديباج المذهب ١/٢٦٤، الحلل السندسية ٢/٣٣٧؛ شجرة النور ص٩٥

(٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٣ م) : « كان فقيها فاضلاً صلبياً في الحق . . . . ما كنا نشبهه الا بسفيان الثوري في زمانه »[١٥٨] بل يذهب المقري الى القول : « وعلى الجملة فهو نسيج وحده »[١٥٩] وعندما قيم المراكشي انتاجه العلمي قارنه بابن جرير الطبري حيث يقول : « بلغني عن غير واحد من علماء الاندلس ان مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك في التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين له . . بخوض اربعمائة مجلد . تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر بن جرير الطبري ، فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً »[١٦٠]

وعندما يقيم ابن العماد الحنبلي كتاب الفصوص لابي العلاء صاعد بن الحسن الربعي نزيل الاندلس يقول: «نحا فيه منحى القالي في اماليه»[١٦١] وجعل ابن الفرضي قاسم بن اصبغ القرطبي (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) نظيراً لابي سعيد بن الاعرابي حين يقول: «وكانت الرحلة في الاندلس اليه وفي المشرق الى ابي سعيد الاعرابي وكانا متكافئين في السن»[١٦٢]. ولما طلب الحكم المستنصر من عبد الله بن محمد بن مغيث ابو محمد ان يؤلف في اشعار خلفاء الامويين في المشرق

---

١٥٨ ـ القاضي عياض : المصدر نفسه ٢٥/٧ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ١٠٤/٣

١٥٩ ـ نفح الطيب ٧٨/٢

١٦٠ ـ المعجب ص٧٣

١٦١ ـ شذرات الذهب ٢٠٦/٣ ـ ٢٠٧

١٦٢ ـ تاريخ علماء الاندلس ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦ ق' ص٣٦٥

والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس ، استجاب وحقق له ما اراد[163] وجعل ابن العماد الحنبلي من ابن باجة في علمه نظيراً لابن سيناء حيث يقول : « وهو احد الاعيان في العلم والبيان يشبهونه في المغرب بابن سيناء في المشرق »[164] وكان احمد بن محمد القسطلي الشاعر الكاتب (٣٤٧ ـ ٤٢١ هـ/٩٥٨ ـ ١٠٣٠ م) معدوداً في تاريخ الاندلس في جملة الشعراء المجيدين المتقدمين ذكره ابو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وقال في حقه : « كان بصقع الاندلس كالمتنبي بصقع الشام »[165] وذكر المراكشي علي بن حزمون مشبهاً اياه بابن سكرة والحطيئة قائلاً : « ولعلي بن حزمون هذا قدمٌ في الاداب . واتساع في انواع الشعر ، ركب طريقة ابي عبد الله بن حجاج البغدادي فاربي فيها عليه . . . »[166] وشبه بعضهم ابا الوليد احمد بن زيدون (٣٩٤ ـ ٤٦٣ هـ/١٠٠٢ ـ ١٠٧٠ م) بالبحتري في العراق .[167] كما قارن ابن حزم بين ابي عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر وبين عبد الله المعتز العباسي في اطار شاعريتهما بقوله : « ابو عبد الملك هذا في بني امية كابن المعتز في بني العباس

---

١٦٣ ـ شذرات الذهب ١٠٧/٤ ، وانظر الصولي اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم (الاوراق) .. نشر ج. هيورث . د ن المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م مطبعة الصاوي ـ مصر ط. اولى

١٦٤ ـ المصدر نفسه ١٠٧/٤ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٣١٩

١٦٥ ـ فتوى الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ـ القاهرة . مطبعة لجنة التاليف والترجمة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ق١ م١ ص٤٤

١٦٦ ـ المعجب ص٤٢١ ـ ٤٢٢ ، وابن حجاج : هو ابو عبد الله الحسين بن احمد من شعراء المائة الرابعة ذكره الثعالبي في ترجمة مطولة ٢٥/٣ وما بعدها

١٦٧ ـ ابن بسام : الذخيرة ق١ م١ ص٣٢٦

ملاحة شعر وحسن تشبيه »[168] .

ولكن هذه النظرة المتوازنة قد تغيرت منذ بداية القرن الخامس الهجري على وجه التحديد حيث اخذ الاعتداد بالنفس مساره لدى علماء المغاربة والاندلسيين وظهر لديهم عنصر المفاخرة والمفاضلة في الامكانات والقدرات العلمية وتجسدت هذه النزعة في حقل التأليف على وجه الخصوص فكان ابو القاسم خالد بن سعد الاندلسي (ت ٣٥٢ هـ/٩٦٣ م) الحافظ يقارن بيحيى بن معين وينقل عن الحكم المستنصر بالله قوله : « اذا فاخرنا اهل المشرق بيحيى بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد »[169] . وفاضل الضبي بين ابي الحكم منذر بن سعيد القاضي البلوطي وابي علي القالي البغدادي ففضل الاول في مجال الخطابة مستنداً الى عجز القالي عن الاستمرار في خطبته الترحيبية امام الوفد الرومي بحضرة الخليفة عبد الرحمن الناصر في حين وثب ابو الحكم البلوطي وارتجل خطبة بليغة على غير اهبة وانشد لنفسه في اخرها :

هذا المقال الذي ما عابهُ فند لكن صاحبه ازرى به البلد[170]

وقد فاخر القاضي عياض اهل المشرق بابي الوليد الباجي حين يقول « ومما يفتخر به انه اخذ عنه حافظا المغرب والمشرق ابو عمر بن عبد البر والخطيب ابو بكر ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما اسن منه

---

١٦٨ ـ الضبي : المصدر السابق ص٤٤٧

١٦٩ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٣/١١

١٧٠ ـ الضبي : المصدر نفسه ص٤٥١

واكبر . لانه كان قد برع في علم الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه وخلافه في الكلام ومضايقه »[171] . وقال القابسي : « ما رأيت بالمشرق ولا بالمغرب اعلم من الابيان كان يفصل المسائل كما يفصل الجزار الحاذق اللحم . وكان يحب المذاكرة ويكره السماع . . . . »[172] وقد ذكر ابن بسام في الذخيرة الفقيه ابا طالب عبد الجبار الشقري وقال : « كان يعرف بالمتنبي ، ابرع اهل وقته ادبا . . . . واكثرهم تفننا في العلوم . . . »[173] . ويذكر القاضي عياض في ترجمته لابي الحسن علي بن خلف بن بطال البكري ويعرف بابن اللحام القرطبي (ت ٤٤٤ هـ/١٠٥٨ م) بأنه « الف شرحا لكتاب البخاري كبيراً يتنافس فيه . . . »[174] . وعندما دخل عبد الملك بن حبيب السلمي ابو مروان - بلغت مؤلفاته الالف ! ؟ - المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر ولم يلق الاحترام المطلوب قال مفاخرا بعلمه مع نقص هيئته :

لاتَنْظَرنَّ الى جسمي وقلتهِ وانَظر لصدري وما يحوي من السنن

---

١٧١ - ترتيب المدارك ٢/٧١

١٧٢ - الابيان : هو عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن اسحاق التونسي (ت ٣٥٢هـ/٩٦٣م) انظر في ترجمته ازهار البستان في طبقات الاعيان لابن عجيبه الحسني مخطوط الخزانة الحسنية - الرباط رقم ٤١٧ ص٣٨

١٧٣ - ق١ ج١ ص٤٠١ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٢ . وقد نسب ابو طالب الى جزيرة شقر بالاندلس . انظر الجزيرة للعماد قسم الاندلس ص١١٠

١٧٤ - ترتيب المدارك ٨/١٦٠ وانظر في ترجمته الصلة ٢/٣٩٤ : الديباج المذهب ٢/١٠٥ شذرات الذهب ٢/٢٨٣ : شجرة النور ص١١٥

فَرُبَّ ذي منظرٍ من غير مَعرفةٍ وَربَّ من تَزدريه العين ذو فطنٍ
وَرُبَّ لؤلؤةٍ في عـيـن مـزبلة لم يُلق بالٌ لها الا الى زَمنِ[١٧٥]

وقال ابن حزم في ترجمته لبقي بن مخلد بن يزيد القرطبي الاندلسي : « اقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره . لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره »[١٧٦] كما علق عـلى كتاب التمهيـد لما في المـوطأ من المعـاني والاسانيد لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري وهو كتاب لا اعلم في الكـلام على فقـه الحديث مثله فكيف احسن منه »[١٧٧] .

وهذا ابو الحسن بن بسام الشنتريني المتوفى عن سن عالية (٥٤٢ هـ/١١٤٧ م) عقد العزم ان يقدم لاهل الاندلس اروع صورة عن ادب الانـدلس وادب الطوائف بنـوع خاص فصنف مؤلفـه الضخم (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) بمدينة قرطبة منافسا به ادب اهل المشرق العربي معارضاً اديبهم الكبـير ابي منصور الثعـالبي في كتابـه (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) فغدت الذخيرة صنواً لليتيمـة

---

١٧٥ ـ كان عبد الملك السلمي قد رحل الى العراق بامكانات مالية جيدة فقد زوده ابوه بالف دينار وعرض عليه ان يزوده بالف اخرى عند الحاجة قائلاً له : « خـذ هذه واستعن بها على طلب العلم ولا تنفق منها شيئاً الا في سبيل العلم الا اذا احتجت الى ابتياع جارية تعفف بها فان انفقت هذه الالف واحتجت الى زيادة فلستاذن على بالف اخرى » انظر طبقات الفقهاء والمحدثين للخشني مخـطوط المكتبة الحسنيـة رقم ٦٩١٦ ورقم ٦٧ ب

١٧٦ ـ المصدر نفسه ورقة ١٦٥آ . المقري : نفح الطيب ٢ص٥١٩

١٧٧ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٤٧٤

فكل منها يدعو الى تذوق محاسن عصره وبذلك يقول المقري : « ولا خفاء انه عارض بالذخيرة يتيمة الدهر »[١٧٨] . كأنه رفض متابعة اهل المشرق حيث يقول في مقدمته للذخيرة : « الا ان اهل الافق ابوا الا متابعة اهل المشرق ، يرجعون الى اخبارهم المعادة ، رجوع الحديث الى قتاده ، حتى لو نعق بتلك الافاق غراب ، اوطنّ باقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنماً ، وتلوا ذلك كتاباً محكماً ،واخبارهم الباهرة واشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية ، لا يُعمَر بها جنان ولا خلد . ولا يصرف فيها لسان ولا يد ، فغاضني منهم ذلك ، وانفت مما هنالك واخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري . وتتبع محاسن اهل بلدي وعصري غيرةً لهذا الافق الغريب ان تعود بدورهُ اهلةً ، وتصبح بحوره ثماداً مضمحلة ، مع كثرة ادبائه ووفور علمائه ، وقديماً ضيعوا العلم واهله ويا رب محسن مات إحسانه قبله ، وليت شعري من قصَرَ العلم على بعض الزمان ، وخص اهل المشرق بالاحسان . ولقد كتبت لارباب هذا الشأن ، من اهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب ،وتسحر الشعراء والكتاب . . . . »[١٧٩] .

فلا غرو ان سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستعين بالله سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨ م الموصوف بقدراته الشعرية والادبية الرفيعة قد قصد من نظم قصيدته الشعرية التي مطلعها :

---

١٧٨ ـ المقري : المصدر السابق ٢/٥٠٠ ـ ٥٠١

١٧٩ ـ مقدمة الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ١/١

١٨٠ ـ ابن بشكوال : الصلة ١/٣٦٢ : ابن بسام : المصدر نفسه ق١ ص٤٧

عجباً يَهابُ الليثُ حدَّ سِناني   واهابُ لحظ فواتِرِ الاجفان[180]

معارضة للابيات التي عملها العباس بن الاحنف على لسان هـارون الرشيد ونسبت اليه والتي جاء في مطلعها :

تلك الثلاثُ الانساتُ عِناني   وحَلَلْنَ من قلبي بكلّ مكاني[181]

وقد انبرى ابو محمد عبد المجيد بن عبدون يفاخـر الافذاذ من ادباء المشرق وشعرائه حين قال : « . . . . . . ولم ادع لابي العتاهية في المغرب وخفيفه المطرب ارباً ، وطويت كشحاً عن اغاريد عبيد ، واضـربت صفحاً عن اناشيد لبيد ، وطالبت بلغاء العصر ، بالمثل المضروب في جمل مصر ، وقلت هذه القارةُ فـراموهـا تؤمه البـواهر مـا انحلتْ في دَرجي ، ونجوهُ الزواهر ما حَلَّت في برجي . . . . . . »[182] .

اذا كان ابن فرج الجَياني قد رأى رأي ابن بسـام في النصفة ، وذهب مذهبه في الانفه فاملى في محاسن اهل زمانه كتاب (الحدائق) معارضا كتاب (الزهرة) للاصبهاني[183] .

وربما ترك منحى علماء المغرب هذا اثراً واضحاً في علماء المشرق فهم اخذوا يؤكدون على اصالتهم العلمية وبيان دورهم فيما وصلت اليه بلاد الاندلس من مكانة سامية بصفتهم مهدوا لهم السبيل في الارتشاف من علوم المشرق عبر القنوات سالفة الذكر . ولذلك قال الصاحب بن

---

١٨١ ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص٧١

١٨٢ ـ المصدر نفسه ص٢٥٠

١٨٣ ـ المقري : المصدر السابق ٢/٥٠١

عباد في سياق تقييمه للعقد الفريد (بضاعتنا ردت الينا) كما ان العقد نال نقداً من بعض الاندلسيين امثال الشاعر القلفاط الذي سماه بـ (عقد الثوم) منافسة منه لصاحبه ومع ذلك فان العقد الفريد رغم اهميته العلمية تميز بشخصيته الاندلسية (وقد اراد المؤلف من تأليفه ان يعارض ادباء المشرق)[١٨٤] .

ولكن من دراستنا لرسالة ابن حزم الجوابية التي بعث بها الى ابن الربيب في كتاب فضائل الاندلس واهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي نستخلص بعض الحقائق منها :

١ ـ ان العراق لاسيما بغداد كانت تمثل القبلة العلمية في نظر ابن حزم فهو يقول : « وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل الوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الاخلاق ، والنباهة والذكاء ، وحدة الافكار ، ونفاذ الخواطر ، وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا . . . . »[١٨٥] .

٢ ـ اظهر احترامه لعلماء المدرسة العراقية وتصانيفهم العلمية ولم يحاول ان يباهي او يفاضل بينهم وبين علماء الاندلس على غرار ما فعل مع النتاجات العلمية لعلماء الاقطار الاسلامية الاخرى لانه عد المدرسة العراقية ينبوع العلم والمعرفة . ولذلك جاءت الموازنات التي اجراها لمشاهير علماء الاندلس مع علماء العراق على سبيل التقييم لعلماء بلاده ليس الا . وفي هذا الاطار جعل تاريخ احمد بن سعيد على نحوٍ من

١٨٤ ـ العبادي : المصدر السابق ص٣٦٨

١٨٥ ـ فضائل الاندلس واهلها ـ نشره وقدم له صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت . ط. اولى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ص١٠

تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي . وشرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطي على نحوٍ من كتاب ابي عبيدة . وجعل الكتاب الذي جمعه ابو عمر احمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلي المعروف بابن الكوي والقرشي ابو مروان المعيطي في جمع اقاويل مالك كلها على نحو (كتاب الباهر) الذي جمع فيه القاضي ابو بكر محمد بن احمد الحداد البصري اقاويل الشافعي كلها . وجاءت جميع تآليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق نظاراً جارياً في ميدان البغداديين .

وفي اللغة جعل كتاب احمد بن ابان بن سيد المعروف بكتاب (العالم) وكتاب (النوادر) لابي علي اسماعيل بن القاسم على نحو كتاب الكامل لابي العباس المبرد وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي .

وفي النحو جعل تفسير الحوفي على نحو كتاب الكسائي . وجمع بين الشاعر الاندلسي احمد بن محمد بن دراج القسطلي وبين بشار بن برد والمتنبي . وجعل تصنيف ابي الوليد بن زيدون الموسوم (التبيين في خلفاء بني امية بالاندلس) على منزع كتاب (التعيين في خلفاء المشرق) للمسعودي[١٨٦] . وكتاب (الاغاني الاندلسية) ليحيى الخدج المرسي - ادرك المائة السابعة - على منزع (كتاب الاغاني) لابي الفرج ....

وفي المنثور من فنون الادب فقد جاء كتاب (سراج الادب) لابي عبد الله بن ابي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس على منزع كتاب (النوادر) لابي علي . وكتاب (اللالي) لابي عبيد البكري على منزع ادب (الكتّاب) لابي محمد بن السيد البطليوسي .

---

١٨٦ - فضائل الاندلس واهلها ص٢٤

وفي التاريخ جعل تواريخ احمد بن موسى الرازي في اخبار ملوك الانـدلس وخدمتهم وغـزواتهم ونكباتهم وكتـابه في (صفـة قـرطبـة وخططها ومنازل الاعيان بها) على نحو ما بدأ به ابن ابي طاهر في اخبار بغداد . وذكر منازل صحابة ابي جعفر المنصور بها[١٨٧] وكتاب رزين بن عمار الاندلسي في (جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخـاري والموطأ والسنن والنسائي والترمذي)[١٨٨] اما في الموسيقى فجعل كتاب ابي بكر بن باجة الغـرناطي في المغـرب بمنزلـة تصانيف ابي نصـر الفارابي في المشرق[١٨٩] .

ومع كل ذلك لم اجد في هذه الموازنات والتكافؤات او في هذا النـوع من التسابق في الانتـاج العلمي بين جنـاحي الامة العـربية الاسـلامية الا ضرباً من التنافس الشريف وغمطاً من الحث على التـأليف والتصنيف ودفعاً مثمراً لعجلة العلم نحـو التقدم والازدهـار في اطارهـا العربي الاسلامي . وقد حصل مثل هذا التنافس او التناظر بين علماء العدوتين الاندلسية والافـريقية ايضـا . فيذكـر ابن سعيد الانـدلسي علي بن موسى : انه حصل نزاع في التفضيل بين البرّين من قبل ابي الـوليد الشقندي الاندلسي وابي يحيى بن المعلم الـطبخي في مجلس صاحب سبته ابي يحيى بن ابي زكريا صهر بني عبد المؤمن . فقال الامير: « الرأي عندي ان يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره ، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعا ، وارجو اذا اخليتما له فكركما ان يصدر عنكما ما

---

١٨٧ ـ المصدر نفسه ص١٤ ـ ١٩

١٨٨ ـ المصدر نفسه ص٢٢

١٨٩ ـ المصدر نفسه والصفحة

يحسن تخليده . ففعلا ذلـك »[190] . وربما حصـل بين علماء افـريقية انفسهم فيذكر لنا ابن خلدون : ان ابا اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن باديس المعروف بابن قرقول قد وضـع كتاب (مـطالع الانـوار) عـلى مثـال كتـاب (مشـارق الانـوار) للقـاضي عياض[191] .

واستطيع ان ارجع هذا التنافس الى بداية العصر العباسي حيث المحاورة الطريفة التي دارت بين الغزال يحيى بن الحكم البكري الجياني الاندلسي وادباء العراق بعد ان دخلها منفياً من قبل امير الاندلس . وقد نقل كل من الحميدي في جذوة المقتبس وابن ابي زرع في المطرب نصاً للمحاورة جاء فيها : « كان الغزال قد اقذع في هجاء علي بن نافع المعروف بزريـاب . فذكـر ذلك لعبـد الرحمن فـامر بنفيـه . فدخـل العراق ، وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة ، فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون شعر احد بشعره . فجلس يوماً مـع جماعـة منهم فازروا باهل الاندلس . واستهجنوا اشعارهم . وتركهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشُربَ اكْدَت سماؤهم . تأبطْتُ زقي واحتسيتُ عنائي
فلما أتيت الحان ناديت ربّـه فهب خفيف الروح نحو ندائي

١٩٠ ـ فضائل الاندلس واهلها ص٢٧ ـ ٢٨ . وابن سعيد علي بن موسى له ترجمة في معجم المؤلفين ٣٤٩/٧ ؛ ومقالة د. عبد العزيز الاهواني في مجلة معهد المخطوطات المجلد الاول ١٩٥٥م ص٣١١ ، ود. شوقي ضيف في مقدمة كتاب (المغرب في حلى المغرب) الطبعة الثانية ١٩٦٤

١٩١ ـ العبر ٤٥/١

فاعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له . فلما افرطوا قال لهم . خفضوا عليكم فانه لي . فانكروا فانشدهم قصيدته التي اولها :

تداركتُ في شربِ النبيذِ خَطائي وفارقتُ فيه شيمتي وحيائي

وكما معلوم فقد اشتد غلواء المنافسة هذه عندما زالت هيبة المشرق العلمية بسقوط الخلافة العباسية في بغداد على اثر الغزو المغولي لها . حتى بلغت المفاضلة العلمية بين جناحي الدولة العربية الاسلامية حداً كبيراً فهذا الصفدي يفضل ابا حيان محمد بن يوسف بن علي النفزي الغرناطي في ترجمته المطولة التي ضمنها كتابه (اعيان العصر واعوان النصر) والتي نقتبس منها هذه العبارة المزكاة (.... حجة العرب . مالك ازمة الادب . اثير الدين ابو حيان الاندلسي الجياني . . . كان اميرالمؤمنين في النحو . والشمس السافرة شتاء في يوم الصحو ، والمتصرف في هذا العلم . فأليه الإثبات والمحو ، لو عاصر أئمة البصرة لبصرهم او اهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم . . . . »[193] .

وبمثل ذلك وصفوا ابا المكارم جمال الدين بن مسدّي حتى قال فيه اكثر من قائل : « جمع الله تعالى العالم في انسان . . . . . وهو من اشهر نار على علم ، وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي ، وكلاهما في غاية الجودة ، ومثل هذا يعد نادراً »[194] .

---

١٩٢ ـ الضبي احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتمس . طبعة مدريد ١٨٨٤ ص٢٩٣

١٩٣ ـ المقري : المصدر السابق ٥٣٧/٢ ؛ وترجم له الصفدي في نكث الهميان ص٢٨٠ : وانظر ايضا الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ : طبقات الشافعية للسبكي ٣١/٦

١٩٤ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٣١٣/٥

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية لطلبة الرحلات العلمية في العراق

وَفَدت على العراق اعداد كبيرة من طلبة الرحلات المغربية في ظروف متباينة واوقات متقاربة او متباعدة تعددت فيها الوسائل والاهداف العلمية البحتة او بقصد الاهداف المزدوجة كاداء فريضة الحج وطلب العلم او ممارسة التجارة في المشرق والاغتراف من معينه العلمي في آن واحد . . . . . ولكن هذه الرحلات في كل الاحوال خلقت احتكاكا اجتماعيا وثقافياً بين مشرق الخلافة العباسية ومغربها تبادلت من خلالها القيم والتقاليد والعادات وتفاعلت المعارف والثقافات وتركت آثارها في مسيرة المجتمع البغدادي ، ونقلها الطلبة المغاربة المتعلمون في العراق الى بلدانهم بعد استكمال تعليمهم فيها ويمكن دراسة تلك المؤثرات في النواحي الآتية :

أ- شدة الاندماج بالحياة البغدادية

مما يدل على هذه الظاهرة التي تعكس لنا وحدة الترابط الاجتماعي بين الشعب العربي في جميع بلدانه المشرقية والمغربية ان طلبة الرحلات كانوا يتكيفون بسرعة لأجواء الحضارة البغدادية العباسية ويندمجون معها بيسر وسهولة فتلقبوا بالقابهم كقطب الدين ومحيي الدين ومجد الدين وشرف الدين الى غير ذلك من الكنى والالقاب فقد تلقب ابن عربي محمد بن علي الحاتمي المولود بمرسية سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٤ م بـ « محيي الدين »[1] ولقب ابو محمد عبد الحق بن ابراهيم الشهير بابن السبعين العكبي المرسي الاندلسي (ت ٦٦٩ هـ/١٢٧٠ م) بـ (قطب الدين)[2] . ولقب ابو الحسن محمد بن سهل الاندلسي بـ (سعد الخير)[3] . وابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الفضل السلمي المرسي بـ (شرف الدين)[4] وابو بكر يحيى بن سعدون الازدي القرطبي بـ (ضياء الدين)[4] وابو الخطاب بن دحية الاندلسي بـ (مجد الدين)[5] وابو محمد المرسي الدروقي بـ (علم الدين)[6] . كما تلقب

---

١ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ٣١٣/٥

٢ ـ ابن الابار : التكملة ص٦٥٢ ؛ الوافي بالوفيات ١٧٣/٤ ، فوات الوفيات ٤٧٨/٢ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ١٩٠/٥ ـ ٢٠٢ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٣٩/٦

٣ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦١/١٣ ؛ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ١٢٩/٥ ؛ النجوم الزاهرة

٤ ـ ابن العماد الحنبلي : المصدر نفسه ١٢٨/٤

٥ ـ ياقوت الحموي : معجم الادباء ٢٠٩/١٨

٦ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢١٩/٥

الكثير منهم بالبغدادي لا سيما الذين عرفوا بطول اقامتهم في بغداد او الذين استقروا فيها بشكل نهائي . ومن اولئك ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن الجراح الخزرجي من اهل جَيّان المتوفي بفاس سنة ٥٤٦ هـ/١١٥١م حيث يشير الى ذلك المقري في ترجمته له قائلا : « ويعرف بالبغدادي لطول سكناه اياها »[٧] وابو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخواشني الفاسي ثم البغدادي (ت ٤١٣ هـ/١٠٢٢م)[٨] وذلك لاستقراره النهائي فيها .

لذا قد لا نستغرب عندما تنعت فاس العلم والمعرفة بـ (بغداد المغرب) وتنعت قرطبة البهاء والعظمة بـ (بغداد الثانية)[٩] . . بل سعى ملوك الطوائف الى تحويل عواصم الاندلس الى بغدادات صغيرة كثيرة[١٠] علماً بان هناك من استقر في بغداد ، دون ان يتخذ من اسمها لقباً له امثال : الحافظ ابي عامر محمد سعدون بن مرجي من اهل ميورقة من بلاد الاندلس الذي سمع بها من ابي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وابي عبد الله الحميدي وجماعته . ولم يزل يسمع الى حين وفاته في ربيع الاخر سنة ٥٢٤ هـ/١١٢٩م[١١] . وأبي عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الخزرجي الداني النحوي الذي اقام ببغداد حتى وفاته

---

٧ ـ المصدر نفسه ١٢١/٣ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ٦٩٨/٢

٨ ـ نفح الطيب ١٥٦/٢ ؛ وانظر ابن الابار : التكملة ص٤٧٤ ؛ المراكشي : الذيل والتكملة ٥٨٢/٥

٩ ـ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ١٩٨/٣

١٠ ـ بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص٤٥

١١ ـ غومس ، اميليو غرسيه : الشعر الاندلسي ـ بحث في تطوره وخصائصه . ترجمه عن الاسبانية الاستاذ حسين مؤنس . ط. ثانية ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ص٤٤

سنة ٦١٩ هـ/١٢٢٢م وعبد الله بن عبدالرحمن بن عمر المغربي الاصل (ت ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠م)[١٢] الذي رحل الى بغداد طالباً العلم باهله وولده وصحبة جماعة من الفقهاء ورحب به الخليفة المستنصر بالله وامره ان يدرس في المدرسة المستنصرية[١٣] وابي عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي من مشاهير اصحاب ابي علي البغدادي ومن كبار النحاة واهل المعرفة التامة بالشعر وقد توفي في بغداد سنة ٣٧٢ هـ/٩٨٢م[١٤] وابي عبد الملك مروان بن عبد الملك بن مروان الشذوني الذي دخل العراق واستقر في البصرة حتى وفاته سنة ٣٣٠ هـ/ ٩٤٠م[١٥] . وابي العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن ابي زياد العمري السرقسطي دخل بغداد والبصرة واستقر في العراق حتى توفي سنة ٣٩٢ هـ/١٠٠٢م[١٦] في الدينور .

وقد مارس بعض اولئك الطلبة في بغداد اعمالاً يومية فمنهم من زاول المهن العامة وانخرط في نقاباتها الحرفية فاسماعيل بن يوسف القيرواني الذي رحل الى العراق على فقر حاله لدراسة علم الفلك والتنجيم ، فقد خدم في بغداد عند بعض مستحضري العقاقير وحذق من جراء ذلك صنعة الطلاء ، واطلع على غامض اسرارها فضلاً عن اكتساب المهارة والبراعة في التنجيم والفلك[١٧] . وقد امتدت كفاءة

---

١٢ ـ انظر ابن بشكوال : الصلة ص٥٣٤

١٣ ـ السيوطي : بغية الوعاة ص٤٩ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ١٦٨/٣

١٤ ـ ابن عجيبة : ازهار البستان ـ مخطوط ـ الرباط رقم ٤١٧ ص٨٦

١٥ ـ المصدر نفسه ص٢٨٢ : التكملة ص٧٨٣ : انباه الرواة ١١٨/٢

١٦ ـ بغية الملتمس ص٤٤٨

١٧ ـ المصدر نفسه ص٤٦٦

بعضهم الى خدمة السلاطين فضلاً عن اعمالهم الحرفية والمهنية فابو عبد الله بن عبدون العذري القرطبي مارس مهنة الطب حينذاك على يد ابي سليمان محمد بن محمد بن طاهر السجستاني البغدادي حتى برع فيه وتولى ادارة بمارستان مصر ثم دخل في خدمة الحكم المستنصر وابنه المؤيد عنه رجوعه من العراق الى الاندلس سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠م حيث الف لهما كتاباً حسناً في التكسير[١٨] ضمنه ثمرة ما تعلمه في صنعة الطب ببغداد . كما ان ابا مروان عبد الملك بن ابي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي (ت ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م) قد تطبب زمانا في رحلته الى المشرق وتولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر[١٩] والقاضي ابو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة ، مارس جملة من الاعمال خلال مدة اقامته ببغداد سنة ٤٢٦ هـ/١٠٣٤م) وداخل الرؤساء وولي القضاء في بعض قصبات العراق ، واستؤجر في مدة من اقامته ببغداد لحراسة درب من دروبها فكان يستعين باجارته على نفقته وبضوئه على مطالعته[٢٠] . واعتمد ابو عبد الله محمد بن طاهر الشهيد القيسي التدميري (في عيشه مدة بقائه بالعراق على الوراقة فاذا سئم منها اجر نفسه في الخدمة)[٢١] وكان علي بن فضال الملقب بالفرزدق القيرواني قد

١٨ ـ ابن الابار : التكملة ـ طبعة الجزائر ص٢٢٨ ؛ الزبيدي : طبقانه ص١٦٤

١٩ ـ نفح الطيب ٢/ ٢٤٤

٢٠ ـ ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢/ ٦٦ ؛ ابن بشكوال : الصلة ص٤٨٧

٢١ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٨/ ١٢١ ؛ وابو الوليد الباجي : هو سليمان بن خلف بن سعيد بن ايوب بن وارث اصلهم من بطليوس ولد سنة ٤٠٣هـ وتوفي سنة ٤٧٤هـ انظر الذخيرة لابن بسام ٢/ ٣٨ ؛ البيان المغرب لابن عذاري ١/ ٤٠٤ ؛ وفيات الاعيان لابن خلكان ٢/ ١٤٢ ؛ معجم الادباء لياقوت الحموي ١١/ ٢٤٦ ؛ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣/ ٣٣٤ ؛ التهذيب لابن عساكر ٦/ ٢٤٨

انخرط في خدمة نظام الملك مع جملة من افاضل علماء بغداد واستمر على ذلك حتى قضى نحبه في ١٢ربيع الاول سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦م[٢٢] ويذكر ابن الابار في ترجمته لجودي بن عثمان النحوي الذي لازم الكسائي والفراء في بغداد ، انه (كانت له حلقة وادب اولاد الخلفاء)[٢٣] ويشير الضبي في ترجمته لابي بكر الطرطوشي (ت ٥٢٥ هـ/١١٣٠م) الذي رحل الى العراق طلبا للعلم انه كان يرتزق من مهنة البيع والشراء ليكسب منها (على قدر حاجته ليومه)[٢٤] ويقول المقري في ترجمته لعبيد الله بن المظفر ابوالحكم المعروف بالحكيم المغربي الباهلي الاندلسي المتوفي بدمشق سنة ٥٤٩ هـ/١١٥٤م : انه عند دخوله العراق قادما اليه من دمشق مارس ببغداد مهنة التعليم ، فاخذ يعلم الصبيان فضلا عن خدمته للسلطان محمود بن ملك شاه السلجوقي سنة ٥٢١ هـ/١١٢٧م حيث انشأ في معسكره بمارستانا ينقل على اربعين جملاً فكان الطبيب المصاحب لبيمارستان المعسكر حيثما خيم[٢٥] مع انه كان يمارس مهنة الطب في دكان له[٢٦] .

وعلى الرغم من ابقاء كثير من الطلبة على لباسهم الغربي المتميز بالبرنس والقلنسوة الذي يقول عنه القاضي عياض في ترجمته لابي العباس احمد بن ايوب بن ابي الربيع بانه : « لم يخالف بالمشرق زيه ،

---

٢٢ ـ القاضي عياض : المصدر نفسه ٢٠٣/٧

٢٣ ـ حسن حسني : ورقات الحضارة ١٨٧/١

٢٤ ـ نقلا عن الحلل السندسية لشكيب ارسلان ٣٣/٢

٢٥ ـ الضبي : المصدر السابق ص١٢٦

٢٦ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٣٠٧/٢ ، ابن ابي اصيبعه :المصدر السابق ٢٤٠/٢

فلبس قلنسوته بين اظهرهم »[٢٧] الا انهم عرفوا بسرعة تطبعهم باخلاق اهل المشرق ، ففي ترجمة ابي زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد القرطبي يقول القاضي عياض : « حج ولقي الناس بالمشرق فتخلق باخلاقهم »[٢٨] .

وبوقوفنا على رواية ابي بكر محمد بن عبد الله المالقي يتأكد لنا مدى اندماج طلبة الرحلات المغربية بالحياة البغدادية العامة ، حيث يكشف في روايته جانبا من مشاركات اولئك الطلبة لاهل بغداد في احتفالاتهم الشعبية بالخروج الى المتنزهات والبساتين او التجمع في الساحات العامة والجلوس على ضفاف دجلة الغناء لمشاهدة الفعاليات التي تقدم في تلك المناسبات ، وفي احداها اعترض احد الطلبة الاندلسيين وكان مع جماعة من الطلبة المغاربة ، امرأة حسناء كانت تسير ضمن مجموعة من النسوة البغداديات اللائي قصدن الاحتفال في احدى البساتين المجاورة ، قائلا لها : « من اين يأتي الغزال الذي كحلت بالسحر عيناه » فاجابته على الفور : « من درجة المجد ودار التقي وسعيه يرضي به الله » فابهرته اجابتها السريعة . . . . ثم دعتهم تلك السيدة الى البستان فاطعمتهم فاكهة واكرمتهم بجملة دنانير . . . . وعادوا الى مساكنهم فرحين بعد ان قضوا النهار مع المحتفلين .[٢٩] .

وكان هذا الاندماج العملي بحياة بغداد اليومية يعبر عن التجانس في الهيكل الاداري والاجتماعي لاجزاء الوطن العربي . كما

---

٢٧ ـ المقري : المصدر السابق ٢ / ١٣٣

٢٨ ـ ترتيب المدارك ٨ / ٣٩ : الصلة ١ / ٥٣

٢٩ ـ المصدر نفسه ٨ / ١٤٣ : الصلة ١ / ٣٢٥

يؤكد قدرة المغربي في كسب الخبرة والمهارة الفنية بمدد قياسية وبكفاءة فائقة . . وفي التكيف للبيئات الاجتماعية التي ينزل فيها ويتعايش معها . . . . . وبذلك نالوا احترام المجتمع العراقي لهم ، وتمتع العلماء منهم وكثير من الطلبة بمكانة مرموقة في الاوساط العلمية والاجتماعية والرسمية البغدادية وهي مكانة نابعة من اهتمام بغداد والمشرق العربي الاسلامي في العصر العباسي بالعلم واهله ،ويتناسب ايضا مع المستوى الحضاري الذي بلغته بغداد ابان ذلك العصر . وربما كان هذا التعظيم يشكل جزءاً من الشروط اللازم توفرها لدى طلبة العلم في حياتهم العلمية والاعتيادية اليومية والى ذلك يشير الزرنوجي بقوله : « فمن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم »[٣٠] لذا فمن الطبيعي ان يتبوأ اولئك العلماء مكانتهم التي يستحقونها في مثل تلك البيئة الاجتماعية المتحضرة ، فنالوا تكريم الناس واحترامهم في مجالسهم ومخاطباتهم ومناسباتهم فمثلا نال محمد بن وضاح (ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩م) احتراما وتكريما عظيما في رحلته المشرقية اسوة باقرانه المشارقة كمحمد بن مسعود ومحمد بن عمرو العزي وذلك (لزهده وفضله وعنايته بالعلم والاثار)[٣١] وكذلك عاش ابو الطيب سعيد بن

---

٣٠ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٤٧ ـ ٤٨ : وللمزيد من الادلة التي تعمق صورة الحياة الاعتيادية اليومية لطلبة المغرب في بغداد ومدن العراق الاخرى انظر ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم التغلبي . في الضبي : بغية الملتمس ص٣٥٤ : وترجمة ابي عبد الله التدميري في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢٠٣/٧ وفيه : ان التدميري جارى اهل واسط في اللباس والماكل الذي كانوا عليه فيذكر قائلا : « فابو ابو عبد الله محمد بن طاهر بن ابي الحسام التدميري عند دخوله مدينة واسط اقتدى بآثار علمائها ونساكها فلبس الصوف واعرض عن شهواته .. »

٣١ ـ تعليم المتعلم طريق التعلم ـ طبعة استنبول ص٩

احمد بن يحيى التجيبي (ت ٤٢٨ هـ/١٠٣٦م) مكرماً معظماً عند الخاصة والعامة في العراق وكانوا يقولون (ما مر علينا مثله)[٣٢] . وقد اورد المقري نمطا من المخاطبات التي حظي به العلماء المغاربة في بغداد والتي تؤكد مدى الاحترام الذي شملهم طوال العصر العباسي حيث يذكر بان بغداد استقبلت ابا الحسن محمد بن احمد بن جبير بقصيدة جاء في مطلعها :

شمسُ الهُدى اطلعَها المغربُ   وطار عنقاءُ بها مُغربُ[٣٣]

كما نال اولئك العلماء مجالاً رحبا من الاحترام لدى الحكام وشملتهم الرعاية الكافية منهم . فبكر بن حماد بن محمد الزناتي (٢٥٠ هـ - ٢٩٦ هـ/٨٦٤ - ٩٠٨م) كان عالما بالحديث وتمييز الرجال شاعرا مفلقاً مدح الخليفة المعتضد فوصله بصلات جزيلة واجتمع بحبيب الطائي وصريع الغواني ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق[٣٤] . وقد نال اسد بن الفرات مساعدة ولي عهد الخلافة ببغداد بمبلغ عشرة الاف درهم لتكون عوناً له على سد نفقاته الدراسية في العراق ومتطلبات سفره الى بلده[٣٥] . والحسين بن احمد القرطبي (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) الذي خرج من الاندلس سنة ٤٤٢ هـ/١٠٥٢م و (نال في بغداد دنيا عريضة) من قبل القائم بامر الله العباسي[٣٦] . ورفع المشارقة من شأن الحافظ ابي الخطاب عمر بن

---

٣٢ - ترتيب المدارك ٤/٤٣٨

٣٣ - الحلل السندسية ٢/١٠

٣٤ - نفح الطيب ٢/٤١٢

٣٥ - البيان المغرب ٢/١٥٤

٣٦ - المالكي : رياض النفوس ص١٧٧ ؛ الدباغ : معالم الايمان ٢/٤٠٣

حسن بن علي المعروف بابن دحية القرطبي وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا مجلسه واقروا له بالتقدم[37] ويقول المراكشي : « اجل الخليفة الناصر لدين الله قدره واجزل صلته ببغداد »[38] .

ويمكننا ايضاح جانب من المكانة الاجتماعية المرموقة التي حظي بها علماء المغرب في العراق على الصعيد الرسمي والشعبي بما دار من حوار بين عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي اشي (ت ٦١١ هـ/١٢١٤م) وبين ولد الامير ابي زكريا على اثر مشاجرة وقعت بين ولده وابن الامير الذي نال منه بقوله : « وما قدر ابيك ؟ » مما جعل الوادي أشي يجيب ابن الامير قائلا : « حفظك الله تعالى ، لست اشك في اني خديم ابيك ولكني احب ان اعرفك بنفسي ومقدار ابيك ، اعلم ان اباك وجهني رسولاً الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلما بلغت بغداد انزلت في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر واجري علي سبعة دراهم في اليوم ، وطولع بكتابي ، وقيل : من الميرقي الذي وجهه ؟ فقال بعض الحاضرين ، هو رجل مغربي . . . . . فاقمت شهراً ، ثم استدعيت ، فلما دخلت الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وارباب المعارف والاداب اعتذروا اليَّ وقالوا للخليفة : هذا رجل جهل مقداره . فاعدت الى محلٍّ اكتري لي بسبعين درهما ، واجري علي مثلها في اليوم . ثم استدعيت فودعت الخليفة ، واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي سيء حظ من صلته ، وانصرفت الى ابيك ، فالمعاملة الاولى كانت على قدر ابيك عند

---

٣٧ ـ انظر طبقات صاعد ص٧٣ . التكملة ص٢٧٣

٣٨ ـ المقري : نفح الطيب ٢ / ١٠٠

من يعرف الاقدار . والثانية كانت على قدري »[٣٩] .

وعلى كل حال فان العلماء قد نالوا درجات رفيعة من الاحترام والتقدير من لدن المجتمع البغدادي الذي وفر لهم الحرية الكافية للتعبير عن مشاعرهم والتحدث عن خلجاتهم والافصاح عن افكارهم ومعتقداتهم في مجالسهم ومنتدياتهم الفكرية والثقافية وحلقاتهم الدراسية او خلال مناظراتهم الفقهية والكلامية . . . . . فمن الطبيعي ان تكون تلك المواجهات اليومية للحياة البغدادية ومتابعاتهم العلمية المكثفة قد تركت لدى المغاربة في بغداد ـ المعروفين بحسهم المرهف ـ انماطا من المعاناة كثيراً ما عبروا عنها من خلال انطباعاتهم الايجابية والسلبية التي سجلوها عن العراق بشكل عام وعن بغداد بشكل خاص بصفتها من اكثر المدن العراقية استقبالا لهم ونذكر هنا صورة من المعاناة التي افصح عنها بقي بن مخلد لاحمد بن حنبل قائلا « غريب من اقصى المغرب لم تكن رحلتي الى هذا البلد الا من اجلك وذهبت الى ان تحدثني واكتب عنك » فلما اخبره احمد بن حنبل بتعذر ذلك عليه مع رغبته في تقديم العون له لانه كان ممتحنا بمحنته . عمل بقي في الحال على تدبير ضمان الاتصال بشيخه على انفراد ليسمع منه الحديث قائلا : « اني رجل مجهول العين في هذا البلد فآتيك كل يوم في زي سائل وانادي بالباب فاذا سمعتني فتفضل بالخروج الي وانا استعد بكاغد ومحبرتي فتملي علي ما امكن كل يوم . فقال لي تفعل . فكنت آتيه كل يوم وبيدي قصبة وفي رأسي خرقة فاصيح بالباب الاجر يرحمكم الله . . فيخرج

---

٣٩ ـ ابي عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ـ تحقيق محمد بن شريفه ـ الرباط ١٩٨٤ ق١ ص٢١٥ ـ ٢١٨

الي فيملي علي حديثين او ثلاثة ثم اخرج فكان هذا شأني معه برهة وكتبت عنه على هذه الوتيرة نحو ثلاثمائة حديث ثم ان الله جل وعلا تفضل بكشف تلك الحالة عنه فظهر للناس وسمعت منه بعد مع الناس . . . . »[40] .

وقد تعكس لنا المحاورة التي دارت بين ابن حزم والباجي جانباً آخر من معاناة طلبة الرحلات العلمية نحو المشرق جاء فيها : « ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي : انا اعظم منك همة في طلب العلم ، لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق . فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ، لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي . وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة . . . . »[41] .

لكن هذه الصور في المعاناة وغيرها قد صقلت شخصيتهم العلمية والاجتماعية وعمقت فيهم قوة الارادة والقدرة على الصبر والمثابرة . . . . ووثقت حبال المودة في نفوسهم بحيث اصبحت بغداد الخلافة خالدة في ذاكرتهم ومشاعرهم . . . يتباهون بحلقاتها التدريسية ومجالسها الادبية ومناظراتها العلمية الزاخرة . ويستأنسون بحركاتهم اليومية في حياتهم الاعتيادية التي الفوها مع المجتمع البغدادي المتحضر

---

٤٠ ـ نفح الطيب ٢/٦١٣ ـ ٦١٤ : الوادي اشي : نسبة الى وادي آش وهي قرية من كورة البيرة قرب غرناطة بالاندلس . انظر المالكي : رياض النفوس ص١١٥

٤١ ـ الخشني : طبقات الفقهاء والمحدثين ـ مخطوط ـ الرباط ، رقم ٦٩١٦ ورقة ١١٥ او ١٥٩ ب

في اطـار الاخوة التي تجمـع بين مشـرق الخلافـة العربيـة الاسلاميـة ومغربها . . . . فعبـروا عن خلجاتهم تلك بـالشعر مـرةً وبالنـثر مرة اخرى . . . فهذا محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي يروي قصته مع الكرخ ومشرعتها شعراً نذكر جانباً منه حيث يقول :

بمشرعة الكرخ التي لم نزل بها ... يلذ لنا شرخ الشباب ويعجب
منازل عز طـال فيهن مفخر ... ومنظر حسن حار فيه التعجب
قطعنا بايام القـطيعة دهـرنا ... نوالي سماع العلم فيها ونكتب
ونهر معلى اعشبت فيه اربعي ... وغرد اطياري فاصبحت اطرب
جمـال واجمـال ودين وعفـة ... ففي مثلها يوعى الاديب ويوغب
سلام على بغداد في كل منزل ... وحق لها مني السلام المطيب
فو الله مافارقتها عن قـلى لها ... وكيف ولي فيها محال وموحب[42]

فهذا الحنين والشوق الذي لديهم من جراء ابتعادهم الطويل عن ديارهم المغربية لم ينسيهم بغداد بعد رحيلهم عنها فالقاضي ابو بكر بن العربي يتحرق شوقا الى بغداد ويخاطب باشعاره اهل الوداد فيها وهو باشبيلية جاء فيها :

سقىٰ الله مصراً والعراقَ واهلَها ... وبغدادَ والشامين مِن منهل القطر[43]

وللقاضي ابي عبد الله محمد بن ابي عيسى ـ علم الاندلس وعالمها النَّدْس ـ اخبار تدل على رقة العراق والتغـذي بماء تلك الافـاق ومن شعره له قال بعد عودته الى دياره جاء فيه :

---

٤٢ ـ المقري المصدر السابق ٢٤٦/٢ ، ودخل عطية بن سعيد بغداد بكتب كثيرة جداً وليس معه غيرها الا وطاءه وركوته ومرقعته .. انظر بغية الملتمس ص٤١٦

٤٣ ـ الضبي : المصدر السابق ص٨٤ ـ ٨٥

كأن لم يَكنْ بينٌ ولم تكُ فرقةٌ ... اذا كان من بعد الفراق تَلاقِ
كأن لم تؤرِّق بالعراقين مقلتي ... ولم تَمر كفُّ الشوقِ ماءَ مآقي

وعبر ابو محمد بن حزم عن مدى الشوق الذي يربطه بالعراق والذي ارتشف من معين علومه وادابه ، بقصيدة خاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشر جاء فيها :

ولي نحو آفاق العراق صبابةٌ ... ولا غَروَ ان يستوحش الكلفُ الصَّب
فان ينزل الرحمنُ رحليَ بينهم ... فحينئذ يبدُو التأسف والكربُ
فكم قائلٍ اغفلتُهُ وهو حاضرٌ ... واطلب ما عنه تجيء به الكتبُ
هنالك يدري ان للعبد قصةً ... وان كساد العلمِ آفتُهُ القربُ(٤٥)

وقد لمس ابن جبير في بغداد قوة جذب له بما تملكه هذه المدينة من سحر ثقافي وتفوق حضاري عبرعن مشاعره نحوها بقصيدة جاء فيها :

يا راكباً من اعالي الشام يجذبُهُ ... الى العراقين إدلاج وأسحارُ
حدثني عن ربوع طالما قُضيتْ ... للنفس فيها لبانات واوطارُ(٤٦)

ومن الجدير بالذكر ان هذا النمط من المعايشة الاندماجية المقرونة بالاحترام والتقدير السالف الذكر اصبح عرفاً ملازماً لجميع المغاربة الدارسين في العراق بعد عودتهم الى بلادهم فاصبحوا اكثر حرصا على ضمان احترام الحكام لهم وكذلك المجتمع وفي(٤٧) المظان كثير من الروايات التي تدلل على ما ناله اولئك العلماء من احترام

---

٤٤ ـ المقري : المصدر السابق ٢ / ٣٥

٤٥ ـ المصدر نفسه ٢ / ١٣ : الضبي : المصدر نفسه ص٩٢

٤٦ ـ الضبي : المصدر السابق ص٤٠٣ ـ ٤٠٤

٤٧ ـ المقري : المصدر السابق ٢ / ٨١

المجتمع لهم كحالة مماثلة لما هو كائن في بغداد ، حتى بعد وفاتهم . . .
فلما توفي رباح بن يزيد سنة ١٧١ هـ/٧٨٧م - عالم افريقية بلا منازع - حضر جنازته الناس كافة وغلقت الحوانيت وحضرها الامير بن يزيد بن حاتم الذي التفت الى من يليه فقال : « هذا والله عز الاخرة لا ما نحن فيه » .(٤٨) ولما مات سحنون قاضي القيروان وفقيهها العالم رثاه احمد بن سليمان بقصيدة مطولة بلغت ٣٠٠ بيت جاء في مطلعها :

الا فأبكِ للاسلام ان كنت باكيا ... لحبل من الاسلام اصبح واهيا(٤٩)

واقام الناس على قبره شهورا عدة حزنا منهم عليه واسفاً على فراقه بعد ان ضربت على قبره قباب(٥٠) .

وعندما نظر الخشني الى نعش بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م) مع جموع الناس محمولاً على اعناق الرجال سقط مغشيا عليه ولما افاق اخذ رداءه فالقاه على نعشه ومشى حاسراً وقال : « هكذا

---

٤٨ - انظر ترجمة محيي الدين بن العربي في نفح الطيب للمقري ١٧٨/٢ : وقصة محمد بن بشير المعافري مع سعيد خال الامير الحكم بن هشام في المرقبة العليا للنباهي ص٥١ ، ومحاورة الامير الحكم بن هشام مع طالوت بن عبد الجبار المعافري المغربي اشترك في حركة المربض الفاشلة . في كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية - تحقيق عبد الله انيس الطباع - بيروت ١٩٥٧ ص٧٦ : وانظر المالكي في رياض النفوس . ط. اولى . مصر ١٩٥١ في رواية عبد الملك بن قطن ابي الوليد المهري القيرواني النحوي اللغوي (ت ١٥٦هـ) في سوق الجزارين ... ص٣١٢ ، وروايات اخرى تتعلق بتعظيم الناس لاهل العلم على مر السنين ص٣١٢ - ٣١٣

٤٩ - الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية ص١٧٧

٥٠ - ترتيب المدارك ١٤٩/١ : معالم الايمان ٨٨/٢

ينبغي ان يمشى في جنائز اهل العلم »[51] وقال القاضي عياض في تشييع جنازة ابي محمد الاصيلي سنة ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠م « وكان جمعه مشهوداً . وجهزه المظفر بن ابي عامر على عادته للنبلاء . . . . »[52] وقد ولّد وفاة ابو ميمونة درّاس بن اسماعيل في الرمادة سنة ٣٥٧ هـ/٩٦٧م حزنا عميقاً لدى الناس ادهش الغرباء في المدينة[53] . . . . كما ازدحم الناس على جنازة يحيى بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبي حتى بقي النعش واقفاً على (باب نافع) لا يقدر الناس على ان يتعدوا به لكثرتهم فصاح صائح : « يا معشر المسلمين ازدحموا على عمله ولا تزدحموا على نعشه »[54] .

وقد غدا تعظيم العلماء في مماتهم موضع تمني الاحياء فقد قال محمد بن عبد الملك بن ايمن وهو يسير في جنازة يحيى بن يحيى بن سعيد « ما مات يحيى حتى تُمني له الموت ولنا ، فبكته الناس وكثرة البانية عليه »[55] .

---

٥١ ـ الخشني : طبقات الفقهاء والمحدثين ـ مخطوط المكتبة الحسنية ـ الرباط ١١٦٥ ، المالكي : رياض النفوس ص٣٥٧

٥٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ص٩١ : الخسني : المصدر نفسه ورقة ١١٦٥

٥٣ ـ ترتيب المدارك ٧/١٤٤

٥٤ ـ الشراط محمد بن محمد بن عيشون : الروض العاطر الانفاس باخبار الصالحين من اهل فاس ـ مخطوط المكتبة الحسنية ـ الرباط ـ رقم ٦٤٧ ورقة ٤ب

٥٥ ـ المسحى : رياض النفوس ١/١٦٣

ب ـ الفوائد العلمية المتبادلة :

تجسدت عظمة بغداد في نظر زوارها من علماء الرحلات العلمية ، حتى غدت لهم هالة ، وذلك بما اسدته لهم من فوائد علمية جمة خاصة وان الكثير منهم لم يكونوا طلاباً مبتدئين بل كانوا علماء افذاذاً في مغربهم العربي الاسلامي . قصدوا المشرق للاستزادة من معين العلوم المشرقية التي تلقى في مدارسها وحلقاتها ومجالسها والتي كانت تعج بالمحاضرات العقلية والنقلية والمناظرات الفقهية والكلامية فضلاً عن اقتباس العلوم الطبية والطبيعية والحسابية والفلكية وغيرها من العلوم مع وجود مكتباتها العامرة بنفائس الكتب العلمية المختلفة . لذلك عقدوا حلقات الدرس فيها كأساتذة اسدوا الفائدة لمن حضرها واجادوا في عرض ما حملوا من علوم المغرب . . . وفي الوقت نفسه واظبوا كطلاب علم على حضور حلقات الدرس ومجالس المناظرة للاستفادة واكتساب المزيد من العلوم التي ارتشفوها من مناهلها الاصلية ، فقد ذكر المقري نقلاً عن المطمح في ترجمته لابي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٣٣٨ هـ/٩٤٩م) الذي ازدراه من رآه عند حضوره مجلس بعض اكابر المشرق فقال مخاطباً اياهم بقصيدة سبق لنا ذكر بعض من ابياتها . وعندما اطلع محمد بن اسماعيل الصائغ على احد اجزاء مسند ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد والذي حمل الى المشرق بوساطة طاهر بن عبد العزيز بن قاسم الصائغ قال : « ما اغترف هذا الا من بحر علم »[٥٦] واذا تتبعنا الرحلة العلمية لبقي بن مخلد في العراق

---

٥٦ ـ الخشني : المصدر السابق ورقة ٤٠ب

ادركنا عظم الفائدة التي جناها من علماء الحديث هناك . وما اسداه بالمثل لمن قصده فيه من طلبة العلم ومريديه . حيث يذكر الخشني انه اخذ الحديث في واسط عن (١٤) رجلاً فضلاً عن احمد بن حنبل في بغداد في حين روى عنه في مدن العراق الاخرى كبغداد والبصرة والكوفة اكثر من (١٣٢) رجلاً[٥٧] وبمثل ذلك يمكن ان نقول عن محمد بن قاسم بن محمد القرطبي الذي رحل الى المشرق سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م ومكث فيها اربعة اعوام سمع فيها عن (١٤) عالماً في البصرة و (٣٥) عالماً في بغداد و (١٦) في الكوفة وعن اثنين في القادسية وعن عالم واحد في قصر بن مسرة ، كما اخذ عنه عدد غفير لم يحظ بمثيل لهم في امصار المشرق الاخرى[٥٨] .

اما احمد بن دحيم بن خليل من اهل قرطبة فعلى الرغم من قصر اقامته في العراق ـ من ذي القعدة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ولغاية ١٧ شعبان ٣١٧هـ/٩٢٩م الا انه اتصل بكثير من العلماء في مدن العراق ومحدثيها فقد سمع بالبصرة من ثلاثة علماء وبغداد من (٣٣) عالماً وسمع في مدينة بلد من عالمين وسمع في كل من الموصل وتكريت ونصيبين من عالم واحد[٥٩] .

وتم احصاء مشايخ محمد بن عبد السلام الخشني الذين اخذ عنهم في البصرة والكوفة وبغداد فبلغوا (٧٧) شيخاً سمع في البصرة من

---

٥٧ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ص٩١

٥٨ ـ الخشني : طبقات الفقهاء والمحدثين .. مخطوط ـ ورقة ١١٥٩ ـ ١٦٥ب وفيه اسماؤهم موزعين على مدنهم و في البغية للضبي انه اخذ في مدن العراق عن (٢٠٠) عالم انظر ص٢٢٩

٥٩ ـ المصدر نفسه ورقة ١١٣٦ ـ ١٣٧ب وفيه اسماؤهم موزعين على مدنهم

(٢٥) وفي الكوفة من (٩) وفي بغداد من (٤٣)[٦٠] ويعزز الضبي علمية الكثير من طلبة المغرب الوافدين على العراق في ترجمته لعطية بن سعيد بن عبد الله بن محمد الاندلسي (ت٤٠٨هـ او ٤٠٩هـ/١٠١٧م او ١٠١٨م) في كونه سمع بالاندلس من ابي محمد الباجي وطبقته قبل الرحيل الى العراق وانه (قدم بغداد محدثاً بها) وكانت له معرفة بعلم الرجال مستنداً الى تقويم شيخه ابي العباس احمد بن الحسن الرازي الحافظ الذي قرأ عليه عطية كتاب البخاري وقال عنه «كان عطية يبتدىء فيقول : هذا فلان ابن فلان روى عنه فلان ابن فلان ويذكر بلده ومولده وماحضره من ذكره فكان من حوله يتعجبون من ذلك . . . »[٦١] .

وتتجلى استفادة اولئك الوافدين من علوم بغداد بما قاله عبد السلام بن يزيد بن غياث ابو الاصبغ الاشبيلي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) الذي طلب منه العودة الى الاندلس «لا ادخل الاندلس حتى ادخل بغداد اكتب فيها الحديث والادب والاشعار . . . . . »[٦٢] . وبهذا الصدد يقول المقري في ترجمته لابي محمد بن عبد العزيز احمد بن المغلس الاندلس البلنسي (ت ٤٢٩هـ/١٠٤٧م) انه «كان من اهل العلم باللغة العربية . رحل من الاندلس . . . ودخل بغداد واستفاد وافاد»[٦٣] وقال ابن النجار في ابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي

---

٦٠ ـ المصدر نفسه ورقة ١٤٩أ ـ ١٥٠ب وفيه اسماؤهم موزعين على مدنهم

٦١ ـ المصدر نفسه ورقة ٨٢ب ـ ٨٦ وفيه اسماؤهم موزعين على مدنهم

٦٢ ـ بغية الملتمس ص٤٢٢

٦٣ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ص٩١

المعروف بالمقريء الورش انه « قدم بغداد وحدث بها وسمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجبل واصبهان . وهو احد القراء المعروفين »[٦٤] . ولما دخل ابو عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) بغداد شاع ان فقيها من اهل المغرب مالكيا قدم (يدرس العلم ويُدَرِسَهُ)[٦٥] اما ابو الوليد الباجي الذي دخل المشرق سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م واقام ببغداد ثلاثة اعوام كان يدرس فيها الفقه ويقرأ الحديث ويلتقي بعلمائها كأبي الطيب الطبري وابي اسحاق والصميري وابن عمروس المالكي واقام بالموصل سنة كاملة اخذ علم الكلام فيها عن ابي جعفر السمناني وبذلك برع في الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه وخلافه وفي الكلام ومضايقه . وتدبج مع الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الاخر . وسمع ببغداد من ابي علي الحسن بن علي البغدادي كتاب الاقناع في القراءات العشرين[٦٦] .

وقوّم الغزالي غزارة علم ابن حزم وقدرته على التأليف عند دخوله العراق فقال : « وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه »[٦٧] .

اما عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المغربي فقد دخل بغداد فقيها

---

٦٤ ـ المصدر نفسه ص١٥٠

٦٥ ـ نفح الطيب ١٣٢/٢

٦٦ ـ ترتيب المدارك ٢٥٠/٧ : انظر ابا يعقوب التادلي (ابن الزيات) (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م) : التشوف الى رجال التصوف ـ تحقيق احمد التوفيق ـ الرباط ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ ص٨٨

٦٧ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٢٨٣

وقال عنه ابن عجيبه « ذكر اثنى عشر درساً والقى عليه بعض العلماء مسألة بيوع الاجل فقال اعرف فيها ثمانين الف وجه فاستغربوا ذلك فجعل يسردها عليهم الى ان انتهى الى ثمانين وجهاً فاستطالوا واضربوا عن سماعها واعترفوا بسعة علمه . . . . »[٦٨] .

ويقول ابو بكربن العربي الاشبيلي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) : « لم ارحل من الاندلس حتى احكمت كتاب سيبويه وكنت احفظ بالعراق في كل يوم سبعة عشر ورقة . وكان يقول : عندي مسائل الفية درست في كل يوم مسألة الف مرة ، بعد ان حفظتها انصرفت الى الاندلس . . . . »[٦٩] ويؤكد علميته هذه ابن العماد الحنبلي بقوله : « وقدم اشبيلية بعلم كثير لم يدخل به احد قبله ممن كان له رحلة الى المشرق »[٧٠] وقال عنه ابن سعيد « . . . . طبّق الآفاق بفوائده ، وملأ الشام والعراق بأوابده . وهو امام في الاصول والفروع وغير ذلك »[٧١] .

وعرف عن ابي عبد الله محمد السلمي المرسي انه دخل بغداد سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م (واقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية » حتى عدا غزير العلم وافر الانتاج بحيث انه كان لايستصحب كتاباً في سفره اكتفاء بما له من كتب في البلد الذي يسافر

---

٦٨ ـ المقري : المصدر نفسه ٢ /٧٨

٦٩ ـ ابن عجيبة (ت ١٠٥١ق) : ازهار البستان في طبقات الاعيان ـ مخطوطة المكتبة الحسنية بالرباط رقم ٤١٧ ص٨٦ واراه مبالغا في كون عبد الله المغربي كان يحفظ ثمانين الف وجه لاثني عشر درساً ؟ !

٧٠ ـ رحل الى العراق سنة ٥١٢هـ انظر بغية الملتمس ص٨٣

٧١ ـ شذرات الذهب ٤/ ٢٠٩

اليه[٧٢] .

فمن كل هذه الامثلة وغيرها التي اوردناها كقصـة اسد بن الفرات في حلقة محمد بن الحسن وموقف ابي بكر الطرطوشي من معلم المدرسة العادلية ، وابي عمران الفاسي في حلقة القاضي ابي بكر الطيب يتأكد لنا عمق الفائدة التي جناها اولئك العلماء الطلبة من رحلاتهم العلمية الى العـراق ، ومن المفيد ذكـره ان هؤلاء الطلاب قـدموا معلومـات اخبارية غنية عن البلاد التي زاروها لاسيما عن العراق .[٧٣]

---

٧٢ ـ المقري : نفح الطيب ٢ / ٢٦

٧٣ ـ يـاقوت الحمـوي : معجم الادباء ١٨ / ٢٠٩ : الصفـدي : الوافي بالوفيـات ٣ / ٣٥٤ : السيوطي : بغية الوعاه ص٦٠

٧٤ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٣٩٧ ـ ٣٩٨

المبحث الثالث

اثر المدرسة العراقية في بلاد المغرب

كما هو واضح ان كلمة بلاد المغرب في هذا البحث . . تتناول الشمال العربي الافريقي والاندلس[1] . وبما ان الشمال الافريقي قد شغلته الاوضاع السياسية المضطربة لمدة طويلة من العصر الوسيط . . . حيث العناصر المتطرفة فضلاً عن جماعات الخوارج المعارضين للخلافة العربية ولكل دعوة . كحكرة خالد بن حميد الزناتي في المغربين الاوسط والاقصى وحركة ورفجومة الخارجي في تونس وابي قرة اليفرني في تلمسان وابي ميسرة البرغواطي الصفري في طنجة ثم انضواء كتامة تحت راية العبيديين وقيام يزيد بن مخلد بن كيداد بحركته المضادة بظاهرها الاسلامي وباطنها المنحرف . . .

١ ـ ان الحياة الثقافية والاجتماعية للعدوتين الواقعتين على جانبي مضيق جبل طارق تشكل وحدة متكاملة وذلك لوحدة الموقع الجغرافي وللارتباط الوثيق بينهما في اطار الثقافة العربية الاسلامية الواحدة وهذه الحقيقة استقطبت نظر الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموي في محاولاته لاستكمال الوحدة السياسية بينهما تحت زعامته العربية الاسلامية . انظر : ابي حيان : المقتبس ص٢٥٥

هذه الحركات التي دامت حتى نهاية القرن الرابع الهجري قد استقطبت جماعات كبيرة من السكان المحليين مستغلة سذاجتها وسرعة انخداعها بدعواتها . . . في حين كانت الاندلس يومذاك اكثر استقرارا من الشمال الافريقي تحت ظل الخلافة الاموية لاسيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، فشهدت هذه البقعة من المغرب ازدهاراً حضارياً مضطرداً اصبحت فيه نموذجاً للمستوى الحضاري الراقي الذي بلغته حاضرة الخلافة العباسية في المشرق . لذا ستتخذ منه ميدانا ارحب نبين من خلاله اثر المدرسة العراقية في حياة المغرب الفقهية والادبية والعلمية والفنية والاجتماعية .

ا ـ في الجوانب الفقهية والكلامية :

اخذت القيروان وهي اقدم مدينة عربية اسلامية بنيت في افريقية تحتل مركز الصدارة بين مدن المغرب ليس بصفتها العاصمة السياسية للبلاد فقط بل بوصفها العاصمة الفكرية ومركز الاشعاع الديني والثقافي في البلاد ونقطة الاتصال بين مشرق الخلافة العربية الاسلامية ومغربها ومنها تمر رحلات الطلبة العلمية المتجهة نحو المشرق وبالعكس . . . وقيل ان عقبة بن نافع في ولايته الثانية لافريقية كان قد دار بجنده حول مدينة القيروان وهو يقول « اللهم أملأها علماً وفقها . . . »[٢] وبالفعل

---

٢ ـ انظر الرقيق القيرواني (ت القرن الخامس الهجري) : تاريخ افريقية والمغرب ـ تحقيق المنجي الكعبي ـ تونس ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص٤٠ ، المالكي : رياض النفوس ؛ القسم الخاص باعلام الحنفية بافريقية الى سنة ٣٠٠هـ .. ص٤٩٠ ـ ٤٩٤ ؛ ابو العرب محمد بن احمد القيرواني (ت ٣٣٣هـ/٨٤٤م) : طبقات علماء افريقية وتونس . تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي .. تونس ١٩٦٨ ص٥٦

فقد استقرت في هذه المدينة طائفة من التابعين والعلماء واخذت تنشر بين الناس الاسلام الصحيح ، وتوقد في قلوبهم الميل الى الفقه في الدراسة واكتساب العلم والمعرفة .... لذلك كان هم اوائل فقهاء افريقية هو التمسك بنصوص الكتاب والسنة . والنفور من كل تخريج او تأويل ولو كان معقولا ... واصبحوا ينظرون الى كل ميل نحو التأويل والتخريج والتفسير كأنه خروج عن الاسلام وبلغ بهم تشددهم هذا ان ابتعدوا عمن اشتهر بالتخريج والاحتكام الى العقل ، فنفروا من اصحاب الرأي في العراق، . وكان هذا النفور يعبر عن حالة نفسية اختص بها اهل المغرب بسبب تأويلات اصحاب الاراء المتطرفة وفتن الخوارج وما اصاب المغرب من التأويلات على اثرها ... وقد استقرت نفوسهم على ان الدين انما هو القرآن والسنة ولا شيء بعدهما . وحتى القياس البسيط انصرفوا عنه ، وترددوا في قبول الكثير من الاحكام التي صدرت عن الاجماع . زيادة في الحرص على دينهم والتمسك باصوله . وخوفاً من الانزلاق في مهاوي الضلالات . وشمل هذا التخوف عموم بلاد المغرب تقريباً . لذلك ومنذ النصف الاول من القرن الهجري الثاني اخذت اراء مالك بن انس الفقهية تدخل بلاد المغرب ـ الافريقي والاندلسي ـ بوساطة طلاب العلم من الحجاج الافارقة والاندلسيين الذين نقلوا ما سمعوا عن مالك الى بلادهم وقلدوه في المأكل والملبس والتحدث .... فتناقل الناس ذلك من اولئك الطلبة العائدين الذين تبوأوا مقاليد القضاء واصدار الاحكام الفقهية والتشريعية في بلدانهم .... فكان ذلك بداية لدخول الفقه المالكي الى بلاد المغرب العربي الاسلامي الذي اصبح عندهم المثل الاعلى لمن اراد ان يحصن

نفسه من نزعات الانزلاق في مهاوي الصفرية والإباضية وما اليها من نزعات خارجية فرقّت اهل المغرب واضرت بهم ضرراً بليغاً. فادى ذلك بطبيعة الحال الى انزواء المذاهب الفقهية الاخرى ، وخمل شأن اصحابها وانصرف الناس عنهم وجاهروا بمناهضتهم وتركزت هذه النزعة في شمال افريقية وهنا يتضح لنا اهمية مدرسة العراق الفكرية في تبديد المخاوف المغربية من التعامل مع الاراء والاتجاهات الفقهية غير المالكية اولاً وفتح ابواب الفكر الحر المعتمد على المناقشة والمناظرة والمجادلة ثانيا فقد اكدت المدرسة العراقية على مر الايام انها خلافا لما اعتقده فقهاء المغرب الاوائل امثال البهلول بن راشد (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م) وعبد الله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠ هـ/٨٠٥م) وابي سعيد سحنون (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م) وغيرهم[٣] ليست مدرسة الفقه الواحد ، بل هي معين تلتقي عنده المدارس الفقهية . واتون تنصهر فيه الافكار والمبادىء العديدة بما يتناسب مع العمق الحضاري للمجتمع العراقي من جهة ، وقدرة العاملين فيها على الابداع والابتكار مستنبطين الاحكام والدلائل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجماع المسلمين على حل القضايا الدينية والدنيوية في مجريات حياتهم اليومية فضلاً عن مدرسة ابي حنيفة الفقهية التي يقول عنها الشافعي : « الناس في الفقه عيال على ابي حنيفة »[٤] احتضنت مدن العراق اعمدة الفقه المالكي حتى نهاية القرن السادس الهجري[٥] ففي بغداد كان القاضي اسماعيل بن حماد

---

٣ ـ انظر المالكي : رياض النفوس ١ /١٣٣ ؛ الدباغ : معالم الايمان ١ /١٩٨ ، ابو العرب : المصدر السابق ٢ /١١٦، ١٢٦ ، ١٨٤ ـ ١٩٧

٤ ـ السيوطي : طبقات الحفاظ ص٧٥

٥ ـ ترتيب المدارك ٨ /١٠٢ ؛ معالم الايمان ٢ /٢٠٢

بن زيد الازدي (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م) الذي بلغ فيه غاية الاجتهاد فقال عنه ابو الوليد الباجي : « ولم تحصل هذه الدرجة بعد مالك الا لاسماعيل القاضي . . . . »[٦] وكذلك القاضي ابو بكر الطيب الباقلاني المالكي المتكلم على مذهب اهل الحديث وطريقة الاشعرية اخذ عنه العلم جماعة لا تعد لكثرتها منهم ابو عمران الفاسي . وكان ذا عقلية علمية نافذة رافضة للاساطير والغيبيات فقد رفض اقتراح وزير عضد الدولة باخذه الطالع قبل خروجه موفداً على ملك الروم قائلاً : « لا اقول بهذا ، لان السعد والنحس والخير والشر بيد الله ، ليس للكواكب ها هنا مثقال ذرة من القدرة . وانما وضعت كتب النجوم ليتمعش بها الجاهلون من العامة ولا حقيقة لها »[٧] وكان ابن المفرج العنسي القائم برأي مالك في العراق في وقته[٨] وفي البصرة كان ابراهيم بن سعيد البصري المالكي الذي تفقه عليه ابن حزم الاندلسي[٩] . وفيها كان ابو يعلي احمد بن محمد العبدي (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٥م) الذي تفقه عليه ابو بكر عبيد الله بن عمران النفزاوي من اهل سبته[١٠] وفي واسط لمع ذكر ابي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الطيب الواسطي الذي اخذ عنه القاضي عياض في مدينة واسط . وفي دراستنا الاحصائية للثبت الخاص بعلماء الفقه المالكي في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض يتضح ان عدد المشايخ والاقران لمالك بن انس بلغ ٨٧١ فقيها في حين بلغ عدد من يلقب منهم بأسماء المدن العراقية

---

٦ ـ النباهي : المرتبة العليا ص٣٣ ؟

٧ ـ المصدر نفسه ص٣٧

٨ ـ ترتيب المدارك ٦/ ١٨٤

٩ ـ الضبي : بغية الملتمس ص١٢١

الرئيسة كبغداد والبصرة والكوفة والموصل وواسط بلغ ١٧٩ فقيها اي بنسبة ٢٠,٥٪ وهي نسبة عالية بين اقطار العالم العربي الاسلامي الاخرى[١١] .

وهذا سلمة بن سعد اول داعية للمذهب الاباضي في المغرب العربي يحرض تلاميذه الاربعة الاوائل وهم عبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي واسماعيل بن درار الاندلسي وداود النبلي النفزاوي على الذهاب الى البصرة لاخذ تعاليم المذهب من فقيهه في ذلك الوقت وهو ابو عبيدة سلم بن ابي كريمة التميمي (مولى بني تميم) وفي البصرة انضم الى الاربعة ابو الخطاب بن عبد الاعلى بن السمح المعافري ، ومكث الخمسة عدة سنين بالبصرة يدرسون المذهب خفية[١٢] وذاك بقي بن مخلد يقضي الايام والليالي منفردا باحمد بن حنبل يسمع منه ويرتشف من معين علمه .... كما ان عبد الله بن فروخ (ت ١٧٦هـ/٧٩٢م) سمع من سليمان بن مهران الاعمش على انفراد في العراق بوساطة من جارية للاعمش كانت يوماً ما جارية لبني فروخ في القيروان ، ولقي ابا حنيفة وسمع منه (٣٠٠) حديث وتأثر الى حد كبير بارائه ومنهجه ، وكان ابو حنيفة يكرمه ايضا فيروى انه ناظر زفر ابن الهذيل تلميذ ابي حنيفة في مجلسه فازدراه زفر لمغربيته فلم يزل ابن فروخ يناظره حتى علا على زفر وقطعه بالحجة فقال ابو حنيفة لزفر « لا خفف الله ما بك » معاتبةً من ابي

---

١٠ ـ القاضي عياض : المصدر نفسه ٨/١٠٠ ؛ ابن خلدون : العبر ٢/٣٢٨ ، الديباج المذهب ١/١٧٥ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٩٤ ؛ شجرة النور ص١١٨

١١ ـ انظر القاضي عياض : المصدر نفسه الجزء الاول ، المالكي : رياض النفوس ١/٤٥٢ ـ ٤٨٩

١٢ ـ الزواوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص١٠٥ ـ ١٠٦

حنيفة لزفر اذ ازدرى ابن فروخ وعرف بميله الى قول اهل العراق اذ تبين له الصواب في قولهم[١٣] .

وكذلك الحال بالنسبة الى اسد بن الفرات الذي درس الفقه على يد مالك فسمع منه الموطأ ثم قصد العراق فلقي اصحاب ابي حنيفة ابا يوسف واسد بن عمر ومحمد بن الحسن وكتب الحديث بالعراق وتفقه . وبذلك حوى علوم المدرستين الشرقيتين المدينية والعراقية وعمل بعلومهما في حياته الفقهية حتى (كان اذا سرد اقوال العراقيين يقول مشايخ كانوا يجالسونه ممن يذهب الى مذاهب اهل السنة اوقد القنديل الثاني يا ابا عبد الله فيسرد اقاويل المدينيين»[١٤] .

ومن الجدير بالذكر ان اسداً حاول ان يعطي تفسيراً جديداً وشاملاً لمصطلح (الرأي واهل الرأي) بحيث لا تقتصر التسمية على مدرسة فقهية معينة . وبهذا الصدد يذكر عبد الخالق المتعبد انه اتى اليه - اي الى اسد - فقال له : « يا ابا عبد الله جئتنا بالرأي وتركت الاثار وما كان عليه السلف » فقال له اسد : « اما علمت يا عبد الخالق ان اقول اصحاب النبي (ص) هو رأي لهم وهو اثر لمن بعدهم . وكذلك التابعين هو رأي لهم وهو اثر لمن بعدهم ؟ واما ما في كتبي من قول ابن القاسم : « ارى ، واظن) فلقد كنت اسأله عن المسألة فيجيبني فأقول له : « هذا قول مالك ؟ فيقول لي : « كذلك احسب وكذلك ارى » وكان ابن القاسم ورعا وكان يكره ان يهجم على

---

١٣ - انظر المالكي : رياض النفوس ط. اولى مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ ص١١٣ - ١٢٠ : الدباغ : معالم الايمان ص١٧٨

١٤ - المصدر نفسه ١/١٨٣ : انظر ابو العرب : المصدر السابق ٢/١٦٣

الجواب وهو يشك فيه .... »[١٥] .

وقد حركت هذه الاحتكاكات المباشرة رغبة كبيرة لدى المتزمتين من اعمدة الفقه المالكي في المغرب في معرفة العلوم العقلية وخاصة الاراء الاعتزالية عن كثب فيروى عن البهلول بن راشد انه سأل يوماً بعض جلسائه قائلاً : « احب ان تذكر لي ما يحتج به القدرية »[١٦] .

كما ان رجال المغرب المالكية اتخذوا من ابي حنيفة فقيه العراق المشهور قدوة لهم في تحديد مواقفهم من بعض الامور والقضايا المستعصية . فابن فروخ فقيه القيروان مثلا رفض تولي القضاء على الرغم من الحاح روح بن حاتم . وذلك اقتداءً بنصيحة ابي حنيفة الذي شبه من يولي القضاء برجل يلقى به في البحر الواسع فنهايته ـ طالت ام قصرت ـ الى الغرق سواء اجاد السباحة ام لم يجدها .[١٧]

وكان ابن غانم اذا اشكلت عليه قصة ارجأ امر الخصمين حتى يعود عليه جواب مالك بن انس وابي يوسف القاضي[١٨] .

ومن الجدير بالذكر ان دعم يزيد بن حاتم[١٩] ومن ثم الامراء الاغالبة للفقهاء العراقيين في القيروان اعطى المدرسة العراقية دفعاً اضافيا من التأثير في المجتمع المغربي لا سيما في عهد ابراهيم بن

---

١٥ ـ المصدر نفسه والصفحة

١٦ ـ نفس المصدر ١٣٤/١ : النباهي : المرقبة العليا ـ بيروت ص١٥

١٧ ـ المصدر نفسه ١١٨/١ ـ ١١٩ ، ١٢١

١٨ ـ الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص١٧٨

١٩ ـ كان حسن السيرة ، ولي افريقية في عهد ابي جعفر المنصور ، وفد عليه الشعراء امثال ربيعة بن ثابت الرقي . وكان ذا راي وحزم وعلم وشجاعة وجود . انظر الرقيق القيرواني : نفس المصدر ص١٧٥

الاغلب[20] . في وقت اخذت مدينة فاس الادريسية التي شبهت ببغداد هي الاخرى تستقبل العراقيين بتشجيع من ادريس الثاني الذي انزل (٣٠٠) عائلة منهم بناحيـة عين علون بعـد ان نقلهم من القيروان وسميت محلتهم هذه بأسم (عدوة القرويين)[21] وقد تكللت جهودهم بانشاء جامعة القرويين من قبل السيدة فاطمة الفهرية .

ويمكننا ان نتخذ من ثقافة المهدي بن تومرت المصمودي الفقيه دليلاً على مدى تأثيرات المدرسة العراقية في الوسط الفقهي المغربي بشكل عام والشمال العربي الافريقي بشكل خاص لقد اتفق الكثير من الباحثين على ان اراء الاشعرية تعد اهم مصدر تأثر بها ابن تومرت واستقى منهـا اراءه واقواله وهـو ماعبـر عنه ابن خلدون بقـوله : « وحملهم على القول بالتأويـل والاخذ بمـذهب الاشعريـة في كافـة العقائد »[22] .

لكن القول بان ابن تومرت كان اشعريـا بوجـه عام يجب ان لايؤخذ على علته . فالحقيقة ان ابن تومرت وافق الاشعرية في بعض ارائها لكنه خـالفها في كثـير منها . ومن المسـائل التي وافق فيهـا

---

٢٠ ـ يقول ابو عبد الرحمن النفزي الكوفي ان ابراهيم بن الاغلب قرا القرآن بكامله فما اخطا غير حرف واحد نقله من موضع الى موضع . انظر الرقيق القيرواني : نفس المصدر ص٢٢٣

٢١ ـ ابن ابي زرع : القرطاس ص٢١ ؛ البكري : المسالك ص١١٦

٢٢ ـ العبر ٦/٤٦٦ ؛ وقد جرى على هذا القول جان جيروم طارو في كتابه ازهـار البساتين في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين ـ ترجمة احمد بافريج ومحمد الفاسي ـ المطبعـة الوطنية ١٣٤٩هـ ص١٩٠ ؛ انـدري جوليـان : تاريخ افريقية الشمالية ـ تونس ١٩٨٣م ط. ثانية ؛ احمد محمود صبحي ـ في علم الكلام ـ الاسكندرية ١٩٨٧ ص٦٧١

الاشعرية : الرؤيا والفعل الانساني والثواب والعقاب . واذا كان الغزالي هو امام الاشعرية فاقامة مقارنة بينه وبين ابن تومرت الذي يعتقد انه تلميذه[٢٣] . يوضح فقط الاختلاف بينهما اكثر من نقاط الالتقاء .. فالطابع العقلي الذي ميز مذهب ابن تومرت الفقهي يقابل الطابع الصوفي عند الغزالي . واذا كان الغزالي قد نشر اراء العقيدة بين العامة وخاصةً ما يحتمل التأويل ، فان ابن تومرت يجعل تقريب هذه العقيدة القائمة على اساس التنزيه والتأويل الى افهام العامة من بين مهامه الاساسية ، هذا فضلاً عن المفارقة الكبيرة القائمة بينهما في مسائل الامامة والمهدية والعصمة التي يرفضها الغزالي ويعارضها كما يعارض الثورة على الامام الجائر خوفا من الفتنة خلافاً لابن تومرت الذي جعل كل هذه المبادىء اساساً لفكره السياسي وسبيلاً لتحقيق طموحه في الاستحواذ على الملك ... واذا نظرنا الى هذه الخلافات على انها طبيعية بين الاستاذ وتلميذه ، ادركنا الى اي مدىً كان تأثير الغزالي بيناً في تلميذه بحيث خلقت لديه قدرة على الاجتهاد والابتكار والابداع الفكري .

---

٢٣ ـ يؤكد صاحب الحلل الموشية على كون ابن تومرت كان يدرس في حلقة الامام الغزالي ببغداد وهو الذي بارك له بالخروج على المرابطين بالمغرب بعد سماعه بحرق كتاب الاحياء ص١٠٤ ـ ١٠٥ وانظر ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالامامة ـ تحقيق التازي ـ دار الحرية بغداد ١٩٧٩م ص٧٥ ، ابن ابي زرع : روض القرطاس ص٢٧٢ الذي يذكر ملازمته للغزالي ثلاث سنوات لاقتباس العلم . ويقول ابن خلدون « لقي فيما زعموا ابا حامد الغزالي» العبر ٦/٤٦٦ في حين ينفي ابن الاثير ذلك بقوله : « وقيل انه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك .... والصحيح انه لم يجتمع به » الكامل ص٥٦٩

واذا نظرنا الى اراء ابن تومرت التي تدعو الى الرجوع الى الكتاب والسنة لاستنباط الاحكام الشرعية واستنكار التقليد وجدناها كلها متشابهة مع اراء الظاهرية ، الشيء الذي حمل بعض الباحثين الى عَد ابن تومرت ظاهرياً في فكره الشرعي . وبذلك يقول المنوني : « والواقع ان مسألة الظاهرية ليست آتية من عبد المؤمن ثم يوسف فقط ، وانما منشؤها الاصلي من ابن تومرت »[٢٤] .

وقد تأثر ابن تومرت ايضا بالمذهب الاعتزالي تأثراً واضحاً وعميقاً في كثير من ارائه كما في التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يعدان من اصول المعتزلة الخمسة . كما اخذ عنه الدعوة الى تقديم العقل واعطائه مكانة في فكره . كما اتفق معه في مسألة التكليف[٢٥] . .

ومجمل القول ان مذهب ابن تومرت يتألف من عدة عناصر . فهو معتزلي في تحليل فكرة تنزيه الله تنزيهاً مطلقاً . وهو ظاهري في الوقوف عند نص الكتاب والسنة واجماع المسلمين ، وجعل اسماء الله الحسنى التي اوردها القرآن الكريم هي الاسماء التي يجب على المسلمين التزامها دون التعرض للصفات . وهو معتزلي اشعري في تأويل الايات المتشابهات الواردة في القرآن . وهو شيعي من حيث جعل الامامة ركناً اساسيا في فكره . والى ذلك يشير عبد الواحد المراكشي بقوله : « . . . . . وكان على مذهب ابي الحسن الاشعري في اكثر المسائل ، الا

---

٢٤ ـ الاداب والفنون على عهد الموحدين ص٥١

٢٥ ـ انظر ابي بكر بن علي الصنهاجي (البيذق) : اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين دار المنصور للطباعة ـ الرباط ـ ١٩٧١

في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها .[٢٦]

اذاً فقد استفاد ابن تومرت من كل هذه المدارس الفقهية فاستوعب الى حد ما اصولها الفكرية عند رحلته الى العراق . . . . واستخلص منها افكاره التي تتناقض الى حد كبير مع ما كان رائجا في المغرب من افكار واراء . مما اثار الفقهاء والعلماء المساندين لحكم المرابطين ضده . فدخل معهم في صراع فكري[٢٧] على الرغم مما كانوا يتمتعون به من امتيازات عند السلطة ومكانة واحترام لدى العامة من الناس . . . . . وربما ساعده على ذلك تكوينه الفكري الجدلي الذي حصل عليه في دراسته بالعراق . . . .

وخلاصة القول ان ابن تومرت استطاع بفضل اسهاماته الفكرية والدينية وقدراته الكلامية والجدلية التي توقفنا عند بعض منها في هذا المدخل ، ان يغني الحياة الفكرية المغربية بارائه المشرقية ويكسر اغلال الجمود والانغلاق التي كانت تعاني منها في العهد السابق له . ويضع بذلك اللبنات الاساسية لفكر مغربي متحرر يستفيد من منجزات المشرق لا سيما العراق دون ان يتخلى عن طابعه المحلي المغربي الاصيل . لهذا اعترض على عبد المؤمن بن علي حين اراد الرحلة في طلب العلم الى العراق برفقة عمه قائلا : « العلم الذي تطلبه بالمشرق

---

٢٦ ـ المعجب ص٢٧٥

٢٧ ـ انظر مجلة المناهل العدد ٢١ ـ الرباط ـ القاضي عياض بين مناهل العلم والادب ـ مقال بقلم مصطفى الشكعة ص١٦٥ ؛ البيذق ؛ المصدر نفسه ص١١ ـ ١٦ وعبد الواحد المراكشي : المصدر نفسه ص٢٧٢

قد وجدته بالمغرب »[٢٨] .

اما في الاندلس فيمكن ان نتخذ من بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) خريج المدرسة العراقية وتلميذ الامام احمد بن حنبل المميز وذي الخاصية منه والجاري في مضمار البخاري ومسلم والنسائي[٢٩] . دليلا اخر لتأثيرات المدرسة العراقية الفقهية في هذه البقعة من بلاد المغرب العربي الاسلامي .

فقد عرف عن بقي هذا : انه لم يتقيد بمذهب بذاته وانه من مفسري الطبقة الاولى للقرآن الكريم ، وكانت له مناظرات مطولة مع فقهاء المالكية استباحوا دمه بسببها لولا تدخل الامير محمد بن عبد الرحمن الذي طلب منه الحضور الى مجلسه وان يحضر معه الكتاب الذي يتهم به من قبلهم وهو : (مصنف ابي بكر بن ابي شيبة) كتاب فقهي على مذهب الامام احمد بن حنبل كان يقرأ منه على الناس . . . . . ولما قرأ الامير الكتاب وناقش في بعض محتوياته (بقيا) وجاء على آخره . . . التفت الى خازن كتبه وقال : « انسخ لنا صورة فخزائننا لايمكن ان تستغني عن مثل هذا الكتاب » ثم قال لبقي بن مخلد « انشر علمك وارو ما عندك من الحديث واجلس للناس حتى ينتفعوا

---

٢٨ ـ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية : تحقيق سهيل زكار ـ مطبعة النجار الدار البيضاء ١٩٧٩ ص١٠٦

٢٩ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٢٣١ ؛ السيوطي : طبقات الحفاظ . ط. اولى القاهرة ١٩٧٣ ص٢٧٧

بك . . . . »[٣٠] لذلك استمر بقي ابو عبد الرحمن في تدريس الفقه على اعمال الرأي . . . . وفسر القرآن تفسيراً نال ثناء ابن حزم وغيره من العلماء . ووضع في الحديث مسنده الذي لم يرق الى رتبته احد ، واذا اخذنا بنظر الاعتبار عدد من اخذ عنه في الاندلس الذين تجاوزوا الـ (٢٨٤) شخصاً ادركنا عظم الثروة العلمية التي نقلها الى الاندلس والتي تمثل جانباً من تأثيرات المدرسة الفقهية العراقية[٣١] .

ويمكن ان نذكر عن معاناة ابن حزم صاحب المذهب الفقهي الظاهري في الاندلس بعد عودته من رحلته العلمية الى العراق مثل ما قيل عن بقي بن مخلد تجاه فقهاء المالكية وماتركه من اثار في اطار التحرر الفكري وكسر قيود التقليد والتزمت الديني . . وعندما احرق المعتضد بن عباد كتبه مجاراة لرغبة اولئك الفقهاء قال في اباء وشمم : فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي تضمنه القرطاس إذ هو في صدري يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل ويدفن في قبري[٣٢] .

وفي الوقت الذي نجد فيه اهتمام فقهاء المالكية بالتقليد والوقوف

---

٣٠ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢٠٢/٣ ، ٣١٦ : الضبي : نفس المصدر ص١٧ ؛ بروفنسال يذكر بانه « كانت لبقي بن مخلد محاولات وجلة لادخال المذهب الشافعي الى الاندلس) المصدر السابق ص٥٠

٣١ ـ بغية الملتمس ص٢٢٩

٣٢ ـ فذكر ابن بسام قوله شعرا :

فان تُحرِقُوا القِرطاسَ لا تَحرِقُوا الذي ... تَضَمَّنه القِرطاسُ بل هو في صَدرِي

يسيرُ معي حيثُ استقلت رَكـائبي ... وينزل , إن أنزلْ ويُـدْفَنُ في قَبرِي

انظر الذخيرة ق١ م١ ص١٤٤

في وجه الافكار الحرة والفلسفية نجد ان اركان المدرسة العراقية ـ بدعم مقيد من الخليفة الناصر وغير مقيد من ابنه الحكم المستنصر ـ استطاعوا ان يحققوا فتحاً في ذلك الاطار الفكري المتزمت بتسريبهم الافكار المشرقية العقلانية في المجتمع الاندلسي . فافكار الجاحظ الاعتزالية اعتنقها العدد الكثير منهم امثال ابي وهب عبد العالي بن وهب القرطبي الذي كان محظياً لدى الامير عبد الرحمن الاوسط[33] . وخليل بن عبد الملك الذي احرقت مكتبته بعد موته ، وتلميذه ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة الذي هجر الى قرطبة ثم الى مكة وعاد ليستقر في صومعته بجبل قرطبة معتزلاً الناس عدا تلاميذه . . . . . وكان ظاهر علمه التصوف وباطنه مناقشة المسائل مناقشة حرة على طريقة المعتزلة . مع تأثره بالفلسفة الشرقية لذلك جاءت آراؤه مزيجاً من اراء المعتزلة والباطنية والافلاطونية الحديثة .[34]

ولكن مع رسوخ الخلافة الاموية الناهضة في القرن الرابع الهجري بدأ التفكير الحر يتخلص من القيود المفروضة عليه . وبدأت الفلسفة تتطور التطور الذي ادى الى ظهور امثال ابن باجة وابن الطفيل وابن رشد ، لاسيما على عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي شبه بالخليفة المأمون العباسي في نبوغه وشغفه بالعلم وفي تشجيعه العلماء والمؤلفين في مختلف العلوم وتعزيزه لجهود المدرسة العراقية باستدعائه

---

٣٣ ـ الضبي : المصدر نفسه ص٣٨٩

٣٤ ـ انظر القاضي عياض : المصدر السابق ٦/١١٣ ـ ١١٤ ؛ ابن الفرضي : المصدر السابق ص٢١٧ ، علي بن محمد راضي : الاندلس ... والناصر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧ ص٢٠ ، عبد الواحد ذنون طه : دراسات اندلسية ص٢١١

الحاذقين من طلبة الرحلات المغربية في العراق للعودة الى بلاد المغرب لتوظيف كفاءاتهم العلمية المكتسبة من العراق في بناء نهضة الاندلس كما حصل لابي محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله الاصيلي العالم الفقيه المحدث الراوية صاحب كتاب (الدلائل على المسائل)[٣٥] هذا فضلاً عن عمله المتواصل في جمع الكتب وترجمتها في مكتبة عامرة حوت اكثر من (٤٠٠) الف مجلد وبكونه كان من اكثر انصار حرية الفكر اندفاعا ، بذرت الفلسفة في عهده في ارض الاندلس واخذت جذورها تمتد وتشتد وغرسها يكبر وينمو وثمرها ينضج ويزهو حتى اخذت نتاجات علمائها تضاهي نتاجات الفارابي المعلم الثاني وفي مقدمتهم ابو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الرحمن البلوطي (٢٧٢ هـ - ٣٥٥ هـ/٨٨٦ - ٩٦٦م) العالم الفيلسوف والاديب المتكلم والشاعر الناقد الذي رحل الى العراق ودرس فيها مذهب النظر والاحتكام الى العقل واستخدام القياس والمنطق ويقول عنه بانه (كان ميالا الى القول بالظاهر)[٣٦] واحتل لدى الخليفة الناصر الاموي موقع ابي العتاهية لدى الخليفة هارون الرشيد العباسي فعينه على قضاء طرطوشة خلافاً لرغبة فقهاء المالكية ، فكان يقضي بمذهب مالك في مجلس قضائه .[٣٧] واذا جلس لتلاميذه افصح لهم عما في نفسه من ميل للتحرر ، حتى لقد قيل عنه وهو يدرس الحديث انه لم يكن يهتم كثيرا كما كان يفعل باقي الفقهاء بالسند او المتن ، ولكنه كان يُعنى بالمعنى

---

٣٥ - الضبي : المصدر السابق ص٣٢٧

٣٦ - الضبي : المصدر نفسه ص٤٥١ ؛ النباهي : المرقبة العليا ص٧٤ - ٧٥

٣٧ - النباهي : المصدر نفسه ص٧٤

ويسترسل فيما يقصده الرسول (ص) من حديثه الشريف آخذاً بمنهج مدرسة ابي حنيفة الفقهية[38] .

ويذكر القاضي عياض في ترجمته لعثمان بن سعيد بن حماد البصري الاصل (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) الذي سكن سبتة واصبح من اعيان فقهائها بانه : « تفقه على طريق العراقيين . . . . وانه لم يكن بالمغرب اقوى منه حجة»[39] .

وقد عرف عن محيي الدين بن عربي الملقب بشيخ العرب بردوده الناقدة على بعض آراء الفلاسفة مقترباً في تفكيره من ابي حامد الغزالي خاصة في كتابه المسمى (الحكمة الالهية) الذي وصفه شبيهاً لكتاب الغزالي المعروف بـ (تهافت الفلاسفة) علما بان كتب الغزالي اثارت نقداً لدى الاندلسيين فقد الف ابن رشد محمد بن احمد بن محمد ابو الوليد (٥٢٦ هـ - ٥٩٥هـ/١١٢٦ - ١١٩٨م) رداً عليه بعنوان (تهافت التهافت) كما الف قبله ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٥هـ /١١٢٥م) كتاباً يعارض به كتاب (احياء العلوم) للغزالي[40] .

ونستطيع القول بان فلاسفة المشرق والعراق بالذات كانوا في بداية المسيرة بمثابة الاساتذة والشيوخ بالنسبة لفلاسفة المغرب ، وذلك عن طريق الاخذ المباشر منهم او باعتماد مناهجهم الفلسفية والعلمية او بتقديم الشروح على كتبهم ومؤلفاتهم والامثلة كثيرة سبقت الاشارة اليها في المبحث الثاني :

---

٣٨ - الدكتور خليل ابراهيم السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي - مديرية دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل ص١٧١

٣٩ - القاضي عياض : ترتيب المدارك ٨/ ٨٤

٤٠ - بغية الملتمس ص١٢٨

ب ـ في الجوانب الادبية واللغوية :

تميزت الساحة المغربية بشدة احتكاك الكفاءات الادبية واللغوية العراقية بامكانات البلاد الذاتية . مضافا الى ذلك رغبة الحكام الذين وجهوا انظارهم الى بغداد ومدن العراق الاخرى كالبصرة والكوفة في الانتفاع بما تملكه من ثروة لغوية هائلة . فضلاً عن المستعربين الذين عبروا عن استعدادهم لتلقي الثقافة العربية وهضمها بسهولة ، فاحسنوا لغة الحديث واتقنوا لغة العلم وشغفوا بالادب منثوراً ومنظوما . . . . . .

والواقع ان المغاربة بدأوا حياتهم الادبية ناقلين ومقلدين للمشرق في كل شيء تقريباً ولمدة ليست بالقصيرة . وبذلك يقول احمد امين : « . . . . . . فالجداول التي مر بها العلم في الشرق هي بعينها الجداول التي مر بها العلم في الاندلس ، ولا تعثر على ابتكار الا قليلا ، وكلما قلد علماء المشرق الاقدمين منهم ، فساروا في طريقهم نفسه ، قلد الاندلسيون علماء المشرق فكأنك تقرأ كتب المشرق في لغتها وابوابها وفصولها ، وربما كان الادب مع تأثره ايضا بالادب المشرقي اميز من سائر العلوم في الابتكار لان الادب يتأثر بالعواطف الشخصية والحوادث المحلية اكثر من تأثر العلم . ولكن حتى هذا مع الاسف كان الاختلاف فيه في الشكل لا في الجوهر ، مثل شكل الموشحات واللعب بالتشبيهات ، اما موضوعات شعرية او نثرية لم تعرف عند المشرقيين فهذا مالم نره . . . . . . »[٤١] .

---

٤١ ـ ظهر الاسلام ٣/٢٦ ـ ٢٧

وان هذا التقليد لم يكن شيئاً واقعياً فحسب بـل كان في ذات الوقت شيئا محببا الى النفوس مرغوباً فيه ويمثل بالنسبة لهم الغاية التي يشير اليها ابن حزم في رده على بعض الافريقيين الذين انحو باللائمة على الاندلسيين لمدح تأليفهم والتفـاخر بعلمـائهم على المشـرق قائـلاً : « وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيـه من محلة العلماء . فقد ذكرنا عن تآليف اهله ما ان طلب مثله بفارس والاحواز وديـار مصر وربيعة واليمن والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذا البلد من العـراق التي هي دار هجـرة الفهم وذويـه ومـزاد المعـارف واربابها . . . . »[42] .

بهذا يكون ابن حزم قد ميز العراق علميا عن بلدان المشرق قاطبة بكونه ينبوع المعرفة لدى المشرقيين والمغربيين على حد سواء .

لذا كان من الطبيعي ان تنصهر العقول العربية في المشرق والمغرب للوطن العربي في قوالب متحدة وتستخدم الوسائل والاساليب المتشابهة وتسعى الى الغايات والاهداف المتناظرة . . . . . فلا نستغرب إذاً من ازدحام ادباء الاندلس على كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدي الذي يقول عنه احمد بن عبادة : « دخلت على ابي ايوب بن سليمان بن صالح بن هشام المعافري يوماً وقد عكف على كتاب العروض للخليل بن احمد فقلت له : ما هذا ؟ فقال : شهدت قوماً يتخـاوضون فيـه فاستوحشت ان لاتكون عندي منه علم ، فبرع في علم العروض بعد ذلك »[43] أو ان يقدم ابو بكر بن زهر على حفظ ديوان ذي الرمّـة او

---

٤٢ ـ المقري : المصدر السابق ٤/١٦٩

٤٣ ـ الخشني : المصدر السابق ورقة ١٥١ب ـ ١٥٢أ . فيه ان ابا ايوب قد عاش في الفترة من سنة (٢٢٨ ـ ٣١٨هـ)

دواوين الاعشى وابي تمام والمتنبي والصنوبري (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٧م)
وسقط الزند واللزوميات للمعري[٤٤] وديوان ابي العتاهية . . . .
وان يقرأ كتاب الاغاني في معظم حلقات مدرسي الادب في الاندلس
حتى ذكر المراكشي في كتابه المعجب بان ابن عبدون كان في شيخوخته
يتلو الاغاني عن ظهر قلب ؟! وبذلك اثر هذا الكتاب كثيراً في الاوساط
الادبية وحلقات السمر التي كانت منتشرة في الاندلس ، ودفع بالادباء
الاندلسيين الى تقليده في تآليفهم الادبية فقد الف يحيى الحدج المرسي
كتابا على نمطه سماه كتاب الاغاني الاندلسية . كما الف ابو الربيع
الموحدي حاكم سلجماسة مختصراً له[٤٥] . كما نحا يحيى الغزال مثلا
منحى ابي نواس في الشعر لدرجة كان يصعب على اهل بغداد او ادباء
مصر التمييز بين اشعارهما حتى قيل ان ابا نواس هو اول من اخترع لهم
بحوراً من شعر الغناء لم يقل العرب شعرا على وزنها[٤٦] . وقيل ايضا ان
ابن المعتز العباسي يعد اول من اظهر بنظمه الموشح الاندلسي قياسا على
المقطوعة المنسوبة اليه والتي هي :

---

٤٤ ـ كان ابو عامر بن شهيد ٣٨٢هـ ـ ٤٢٦هـ/٩٩٢ ـ ١٠٣٤م) مولعا باثار المعري حاذيا حذوه ويقال انه عارض « رسالة الغفران » برسالة « التوابع والزوابع » التي اورد ابن بسام في الذخيرة اقساما كثيرة منها (ق١ م١ ص٢١٠ ـ ٢٨٩) : في الادب الاندلسي لجودت الركابي ص٧٣ .

٤٥ ـ الدكتور جودت الركابي : في الادب الاندلسي ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط. ٣ ١٩٦٠ ص٧٠

٤٦ ـ الضبي : المصدر السابق ص٢٩٣ . د. صفاء خلوصي : فن التقطيع الشعري والقافية ـ بيروت ١٩٧٤ . ط. ٤ص٣٠٠ وفي جودت الركابي : المصدر السابق ص٢٨٦

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناكَ وإن لم تسمع

ونديم هِمتُ في غرتهِ
وبُشربِ الراح من راحتهِ
كلما استيقظ من سكرتهِ
جذبَ الزِّقَّ اليه واتكا وسقاني اربعا في اربع[٤٧]

وكذلك الشاعر البحتري فقد كان محط اعجاب الاندلسيين واتبعوا طريقته في النظم وبذلك يقول ابن بسام : « كانت طريقتهم في النظم مثالية فهي طريقة البحتري في رقته وجزالته وعذوبته وشدته » وعندما كان يمدح بعض شعرائهم لا يجد لمدحهم غير تشبيههم بالبحتري[٤٨] .

اما المتنبي[٤٩] فكان يعبر عن المدرسة العراقية الشعرية اصدق تعبير في النصف الاول من القرن الرابع الهجري بامكاناتها كافة حيث نهج منهجه كثير من شعراء المغرب وطرقوا مختلف فنونه الشعرية واصبح ديوانه موضع اهتمام ودراسة حيث شرحه الافليلي (ت

---

٤٧ ـ ينسب البعض هذه الموشحة الى ابي بكر محمد بن زهر الاشبيلي المتوفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م . انظر د.جودت الركابي ٢٨٦و٣٢١ ويرى ابن خلدون بان اول من ابتدع الموشح هو مقدم بن معافر الفريدي شاعر الامير عبد الله بن حسن المرواني في الاندلس . انظر مقدمته مطبعة الكشاف ـ بيروت ص٥٨٣ ـ ٥٨٤ : صفاء خلوصي : المصدر السابق ص٣٠٠

٤٨ ـ د. جودت الركابي : المصدر السابق ص٧٢

٤٩ ـ عبر المعتمد ملك اشبيلية عن اعجابه بالمتنبي لدرجة ازعج الشعراء المحيطين به ، انظر د. جودت الركابي ص٧٣ ،

٤٤١هـ/١٠٤٩م) وابن سيده (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ونسج على منواله كثير من شعراء الاندلس فهذا ابو القاسم محمد بن هاني الارموي من شعراء الطبقة الاولى في الاندلس والفيلسوف الذي اطلق عليه النقاد اسم (متنبي المغرب) اتبع طريقة المتنبي في تعامله مع ملوك عصره فدخل في خدمة القائد جوهر الصقلي بعد تركه لاشبيلية امام ضغط المتعصبين من فقهائها الذين اتهموه بالزندقة لاشتغاله بالفلسفة .[٥٠] وكان يطمح الى الدخول في خدمة معز الدولة الفاطمي قبل ان تدركه المنية . وبذلك رثاه الاخير متأسفاً عليه بقوله : « هذا رجل كنا نود ان نفاخر به شعراء المشرق فلم يتح لنا ذلك »[٥١] .

واذا كان ابن هاني يقلد ابا نواس في خروجه عن المألوف من البحور والاوزان في بعض قصائده فقد قلد المتنبي ايضا في الغوص والبحث عن المعنى العميق محاولا صوغه في قالب لفظي جزل فخم وفي اخيلة وتشبيهات لايفهمها القارىء الا بعد تفكير وتدبير فكان يحمل المعنى البسيط فوق ما يجب ان يتحمله ـ لان المتنبي كان اول من اضاف الى قوة النظم فكرة الفيلسوف ـ كما يشترك الشاعران في الطموح ومحاولة تحقيق الامال بمدح الملوك والحكام مثال ذلك مدح المتنبي لسيف الدولة الحمداني ومدح ابن هاني للمعز الفاطمي . . . . وكلاهما يجيد الوصف اجادة فائقة ويتمثل ذلك في وصف ابن هاني لاسطول المعز وصفاً دقيقاً[٥٢] يعبر عن شاعريته الراقية . ووصف المتنبي لمعارك سيف الدولة

---

٥٠ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ٤/٤٢١

٥١ ـ ابن خلكان : المصدر نفسه ٤/٤٢٢

٥٢ ـ ابن هاني : الديوان ـ دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص٩٦ ـ ١٠٣

الحمداني مع الروم وصفاً لا يسمو عليه وصف . . . . . لكن المتنبي في هذه الموازنة كان المتميز في نظر ابي العلاء المعري حيث اجلسه على عرش الشعراء واصفاً شعر ابن هاني بالرحى التي تطحن قروناً للقعقة التي في الفاظها[٥٣] .

ولمع في قرطبة شاعر لايقل عن ابن هاني مكانة في الاندلس هو ابو الوليد احمد بن زيدون الذي اعجب الادباء والكتاب بروعة نظمه ورونق اساليبه ووجدوا لشعره موسيقى فيها الخفة والرشاقة حيث فتن بطريقة البحتري في العراق الى حدٍ كبير فلقبوه بـ(بحتري المغرب) وبذلك يقول ابن بسام : « يقول بعض ادبائنا ان ابن زيدون بحتري زماننا ، وصدقوا لانه حذا حذو الوليد في بعض قصائده »[٥٤] . وقد احتل هذا الشاعر مكانة مرموقة لدى ابن جهور الذي مدحه بقصيدة قبل توليه الوزارة . وقد خالط مدحه هذا اعتزاز الشاعر بنفسه وبموهبته كما فعل المتنبي من قبل في مدحه لسيف الدولة في حلب وكافور الاخشيدي في مصر فيقول ابن زيدون عن نفسه :

أمثليَ غُفْلٌ خاملُ الذِّكر ضائعٌ ضياعَ الحسام العَضْب إصدأهُ الغِمدُ
انا السيفُ لاينبو مع الهزِّ غَربهُ اذا ما نبا السيفُ الذي تَطبعُ الهند[٥٥]

---

٥٣ ـ ابن خلكان : المصدر نفسه ٤/٤٢٤

٥٤ ـ الذخيرة ق١ م١ ص٣٢٦

٥٥ ـ ابن زيدون ، ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون (٤٢٢هـ ـ ٤٦٣هـ/ ١٠٠٣ ـ ١٠٧١م) : الديوان ـ شرح وتحقيق كرم البستاني ـ دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ص٢١٣

وبذلك نستطيع القول بان ابن زيدون قد تأثر في منهجه الشعري بشاعري العراق المعروفين .

كما كان لبقية شعراء العراق تأثير في الحياة الادبية لبلاد المغرب العربي فابن خفاجة الاندلسي يعترف بانه مدين في اكثر وحيه الشعري الى الشريف الرضي (ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م) . وعبد المحسن الصوري (ت ٤١٩هـ/١٠٢٨م) مدين ايضا الى البحتري والصنوبري في المعاني والامثلة التي تتعلق بوصف الطبيعة حتى انه كان يلقب بـ (صنوبري الاندلس)[٥٦] .

وعلى كل حال بقيت مدرسة العراق الشعرية بشعرائها الافذاذ في كل العصور رموزاً للمفاخرة والمقارنة في الاندلس ، فهذا ابو جعفر احمد بن محمد بن طلحة (ت ٦٣١هـ/١٢٣٣م) ويعرف بابن جده طلحة قال متباهيا بشاعريته « تقيمون القيامة بحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي الى مالم يهتد اليه المتقدمون ولا المتأخرون . . . . »[٥٧] .

---

٥٦ ـ ابن خفاجة ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الاندلسي (٤٥٠ ـ ٥٣٣هـ/١٠٥٨ ـ ١١٣٨م) ابن خلكان المصدر السابق ١/٥٦ ـ ٥٧ بغية الملتمس ص٢٠٢

يورد ابن خلكان ذكرا اديب مغربي اخر هو ابو العباس احمد بن عبد السلام الكواربي ـ نسبة الى قبيلة كواريا او جراوا البربرية ومنازلهم بضواحي مدينة فاس ـ جمع كتابا يحتوي على فنون الشعر على وضع (الحماسة) لابي تمام الطائي وسماه (صفوة الادب وديوان العرب) وهو كثير الوجود بايدي الناس وهو عند اهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق ـ ابن خلكان ٧ص١٣٦ ـ ١٣٧

٥٧ ـ لسان الدين الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ـ تحقيق محمد عبد الله عنان ـ دار المعارف ـ مصر ط ـ اولى ص٢٤٤

اما في مجال اللغة وفنونها فنكتفي بذكر جهود ابي علي القالي البغدادي الذي مثل المدرسة العراقية في اللغة خير تمثيل بتأثيره الواسع وعطائه الثر في الاندلس(٥٨) . شهدت له المصادر والمظان بإمكاناته اللغوية وعدد المتخرجين من حلقاته التدريسية وقراء تآليفه النحوية القيمة التي قال عن احداها « كتبت كتاب الدلائل وما اعلم وضع في الاندلس مثله ، ولو قال انه ما وضع في المشرق مثله ما ابعد »(٥٩) .

فهذا ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي (٢٠٦ - ٣٧٩هـ/٩١٨ - ٩٨٩م) الفقيه العالم في اللغة والنحو الذي حذقها على اول ائمتها في عصره حيث بفضله احاط بالفاظها واساليبها والف فيها وفي النحو والتاريخ حتى تهيأ له ان يضع مختصراً لكتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي البصري ...... وعندما نستعرض نتاجات الزبيدي في الاندلس يتحقق لنا مدى الخدمة التي اسداها استاذه القالي البغدادي له وللمجتمع اللغوي في الاندلس ، فبفضل القالي قدم الزبيدي التلميذ لبلاده خدمة غير مسبوقة فقد راجع معظم كتب الادب في عصره واظهر ما فيها من كلمات عامية ....(٦٠)

---

٥٨ - Rashed, Bassam Yassen: Abu Ali Al Qali su vidoy su obra. Analisis Especial de sus transmisiones Linguisticol — iterarias, Granada 1920

٥٩ - ابن الفرضي برواية العباس بن عمرو الوراق . انظر الحلل السندسية ١٣٦/٢ - ١٣٧ ويذكر ابن خلكان كتابين لابي علي القالي هما ، كتاب الامالي وكتاب البارع في اللغة بناه على حروف المعجم وهو يشتمل على خمسة الاف ورقة ، وغيرها من الكتب وفيات الاعيان ص٢٢٦

٦٠ - انظر في ترجمته ابن خلكان : المصدر نفسه ٥١/١ ، وفيه انه كان اشد الناس انتقادا للكلام .

ودليلاً على فضل البغدادي في اختصاصه اختاره الحكم بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستنصر بالله مؤدباً لابنه هشام المؤيد تلقينه اللغة وتبصيره بالادب العربي كما فعل الكسائي في تأديب الاميرين الامين والمأمون والصولي في تأديب الراضي في بغداد[٦١] .

واذا اخذنا بالعبارة التي قالها ابو علي البغدادي لوفد الامير الذي كلف باستقباله وهي : « ان علمي علم رواية وليس علم دراية فخذوا عني ما نقلت . . . . » نستطيع ان نقول انه بذلك قد وضع لهم منهجاً تعليمياً صنف بموجبه علوم عصره صنفين هما علوم الرواية التي تعتمد على النقل . وعلوم الدراية : وهي التي تكتسب بالخبرة والتجربة . وان هذا التصنيف المهني للعلوم لدى القالي البغدادي اصبح قاعدة دراسية تمسك بها دارسو اللغة من تلاميذ القالي ومن المواظبين على حضور حلقاته الدراسية ، الذين كانوا يعرفون باصحاب ابي علي البغدادي في الوسط الثقافي والاجتماعي . فهذا الطبيب ابن مقيم الزاهر يخاطب ابا عبد الله الفهري اللغوي وجماعة ممن حضروا معه حفل عرسٍ قائلاً : « يا معشر اهل الاعراب واللغة والادب ويا اصحاب ابي علي البغدادي اريد ان اسألكم عن مسألة . . . . »[٦٢]

وقد استنهضت المدرسة العراقية اللغوية المغاربة للدراسات المقارنة فقد امر الحكم المستنصر بالله محمد بن ابي الحسن العالم اللغوي والاديب المشهور بمقابلة كتاب العين للخليل مع ابي علي القالي وابن

---

٦١ ـ يقول الضبي : ان الحكم المستنصر هو الذي كتب اليه ورغبه في الوفود عليه لهذا الغرض بغية الملتمس ص٢١٧

٦٢ ـ المصدر نفسه ص٥١٠

سيده في دار الملك بقصر قرطبة[٦٣] علماً بان بروفنسال يرى ان المخصص لابن سيده يتفق مع قواعد كبار فقهاء اللغة في العراق[٦٤] . وان محمد بن فتوح ابا عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) رتب كتابه جذوة المقتبس على منهج الخطيب البغدادي وعليه اعتمد[٦٥] واهتمت المدرسة النحوية في المغرب بتدريس كتاب سيبويه وتم استيعابه من قبل الكثيرين امثال ابي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج الاشبيلي الذي رواه عن ابن الاخضر[٦٦] . ويوسف بن موسى بن ابراهيم الهواري درس كتاب سيبويه علي ابي الحسن بن حريق[٦٧] . والفقيه ابي عبد الله بن ابي الحسن بن كسيه قرأه على ابي ذر[٦٨] حتى اصبح عالماً بكتاب سيبويه كما قدم ابن المناصف شرحاً مطولاً له . وهناك سلسلة من الكتب اللغوية والنحوية التي اشتهرت وشاعت دراستها في بلاد المغرب لاسيما في الاندلس . واقدم بعضهم على حفظها وقد حفظ ابن سيدة كتاب اصلاح المنطق لابن السُكيِّت كما حفظ كتاب ابي عبيدة القاسم بن سلّام الهروي (ت ٢٢٣هـ/٨٤٧م)المسمى بـ(الغريب المصنف) وقرظه ابن حزم الذي وصفه بكونه اكمل كتاب لمعرفة اللغة العربية[٦٩] وكتاب ادب الكاتب لابن قتيبة الذي شرحه ابن السيد

---

٦٣ ـ المصدر نفسه ص٦١

٦٤ ـ حضارة العرب في الاندلس ص٦٢

٦٥ ـ بغية الملتمس ص١١٣

٦٦ ـ المصدر نفسه ص٨٨

٦٧ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق' ص٤٣٧

٦٨ ـ علي بن ابي زرع الفاسي : الذخيرة السنية ـ الرباط ـ ١٩٧٢ ص٤٢ و٤٣

٦٩ ـ د. جودت الركابي : المصدر السابق ص٧١

البطليوسي احد نحاة بجاية في القرن الحادي عشر الميلادي وقال عنه ابن خلدون في مقدمته : « وسمعنا من شيوخنا في مجلس التعليم ان اصول هذا الفن (الادب) واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها »[70] . وهذه الكتب الاربعة عراقية . وشغف الكثيرون منهم بدراسة الكامل للمبرد الذي جاء به ابن ابي علاقة من المشرق في زمن الحكم المستنصر . ويذكر صاحب كتاب الذيل والتكملة : ان اشراق السويداء قرأت هذا الكتاب وكتاب الامالي مع ابن غلون القرطبي حتى اصبحت « تحفظ الكتابين ظهراً وتنصهما حفظاً وتتكلم عليهما »[71] . والف صاعد اللغوي كتاباً اسماه (الفصوص) حذا فيه حذو المبرد في الكامل .

ومن الجدير بالملاحظة ان اهل اللغة في المغرب كانوا في مناظراتهم النحوية واختلافهم على بعض المسائل يحتكمون فيها احياناً الى مدرستي البصرة والكوفة النحويتين لايمانهم بقدرة المدرستين على توثيق الصحيح وبيان الخطأ وبالفعل فقد احتكم كل من يزيد بن حاتم المهلبي وعبد الله بن غانم الى قتيبة الجعفي النحوي الكوفي من أئمة اهل الكوفة في النحو حين اختلفا حول العبارة « تشايرنا هلال رمضان بالايدي او تشاورناه » فاقر الكوفي لهما بصحة (تشايرنا) فتقدم يزيد حينذاك باعتذاره لابن

---

٧٠ ـ ص٥٥٣

٧١ ـ ابو عبد الله المراكشي : المصدر السابق ص٢ ، المقري : المصدر السابق ٤ / ١٧١

غانم وقال : « ظلمناك يا ابن غانم »[72] وابن غانم من الدارسين في العراق . وقد وثق احمد بن يحيى الضبي من شيخه بقراءته لكتاب مسلم بسبتة[73] .

وكان لهذه المكانة النحوية المرموقة لمدرستي البصرة والكوفة في بلاد المغرب ، دور كبير في تشدد الدارسين من اهل الاندلس بالالتزام بقواعد اللغة والتعمق في دراستها والرحلة الى العراق بقصد الاتصال بمصادر الدراسات النحوية فيها[74] .

---

٧٢ ـ انظر المالكي : رياض النفوس ١/١٤٦ ـ ١٤٧

٧٣ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٣٢٥

٧٤ ـ عبد الواحد ذنون طه : دراسات اندلسية ص٢٠٩

حـ - في الجوانب العلمية :

اسهمت المدرسة العراقية في غرس العلوم الصرفة او كما يسميها ابو علي القالي بـ(علوم الدراية) بوساطة الرواد العراقيين امثال الطبيب البغدادي اسحاق بن عمران الملقب (بسم ساعة) والطبيب ابي يعقوب اسحاق بن سليمان الكحال والطبيب يونس الحراني الذي دخل الاندلس ايام الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/٨٥٢ - ٨٨٦م) .[٧٥] والرياضي ابي اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني والجغرافي محمد بن حوقل وكثيرين غيرهم . او بجهود مضافة قدمها طلاب الرحلات العلمية المغربية العائدين من العراق والمشرق . والذين نهلوا من علوم مدارسها ومؤسساتها امثال الطبيب ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي[٧٦] . هذا فضلاً عن انتقال الكتب العلمية العراقية الى بلاد المغرب . ككتاب الحشائش والنباتات المعروف بكتاب الادوية المفردة الذي نقل من بغداد الى الاندلس وظل معمولاً به حتى سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م وممن اعتمد عليه ابن جلجل وغيره حيث اشار اليه في مقدمة كتابه قائلاً : « انه كتاب ديسقوريدوس ، ترجم بمدينة السلام (بغداد) في الدولة العباسية في ايام جعفر المتوكل وكان

---

٧٥ - انظر ابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ص٩٤ ، ابن ابي اصيبعه : عيون الانباء ٤٢/٢ وفيه انه ادخل الى الاندلس معجونا كان يبيع السقية منه بخمسين دينارا لاوجاع البطن وقيل انه والد الطبيبين الاندلسيين احمد وعمر

٧٦ - انظر ابن بشكوال : الصلة ١٦٢/١ ؛ الحميدي : جذوة المقتبس ص٢٠٨ - ٢٠٩ ، محمد عبد اللطيف مطلب : تاريخ العلوم الطبيعية ص١١٨ ، قدري طوقان : العلوم عند العرب ص٢٠

المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وتصفح ذلك حنين ابن اسحاق المترجم فصحح الترجمة واجازها . . . . . وورد هذا الكتاب الى الاندلس . . . فانتفع الناس منه الى ايام الناصر عبد الرحمن بن محمد . . . »[٧٧] وكتب ابن سيناء ورسائله الطبية التي اصبحت مثالا يحتذى بها هناك وعلى وجه الخصوص في الاندلس وبذلك يقول كمستون Cumstom : ما على الانسان الا ان يقرأ جالينوس ثم ينتقل منه الى ابن سينا ليرى الفرق بينهما فالاول غامض والثاني واضح كل الوضوح . والتنسيق والمنهج المنتظم سائدان في كتابة ابن سينا لكننا نبحث عنهما في كتابة جالينوس »[٧٨]

واذا اخذنا بنظر الاعتبار نجاح الطبيب الاندلسي ابي مروان عبد الملك بن زهر[٧٩] في دعوته الى تطبيق مبدأ التخصص في الطب ، نستطيع القول بانه حذا حذو بغداد في هذا المجال حيث كانت تختبر كفاءة اطبائها الجدد منذ ايام المقتدر العباسي على ايدي اطباء متخصصين امثال ابي بكر الرازي وابي العباس وابن سينا .

كما ان شغف يوسف بن عبد المؤمن الموحدي بعلم الطب واستظهاره كتاب الطب المعروف بـ (الملكي) لابي العباس حفز

---

٧٧ ـ مقدمة كتاب طبقات الاطباء والحكماء . وفي نسخة مخطوط الحشائش الموجودة في مكتبة ايا صوفيا باستنبول انها بترجمة، اصطفى واصلاح حنين . ونسختها موجودة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٢٩ طب

٧٨ ـ نقلاً عن محمد بن علي راضي : المصدر السابق ص٨١ ـ ٨٢

٧٩ ـ بنو زهر في اشبيلية : هم سلالة اشتهروا بالعلم وبخاصة الطب وكان اشهرهم ابو مروان عبد الملك بن زهر وابنه ابو العلاء ثم حفيده ابو مروان بن ابي العلاء الذي توفي في مراكش سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م ودفن في اشبيلية

ولده من بعده يعقوب بن يوسف الموحدي على المضي قدماً في تشجيع هذا العلم فأسس بمارستانات للمرضى واجرى عليها انفاقا طائلاً في مدينة مراكش وشالة والقصر[80] .

اما في مجال الرياضيات والهندسة والجبر والمثلثات والفلك فكان لتقدم هذه العلوم على ايدي علماء العراق الافذاذ ـ امثال الحجاج بن مطر وابن الهيثم وابي الوفاء البوزجاني ومحمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر وابي الحسن الكوهي ومحمد بن ابي سعيد الجوهري البغدادي وابن الحاسب احمد بن محمد وابي عبد الله البتاني وابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي واولاد موسى بن شاكر (محمد واحمد والحسن) الذي عدّ من اعظم علماء الرياضيات في عصره وابي الحسن علي بن احمد النسوي وابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي وسند بن علي المنجم وجابر بن حيان وغيرهم التي تدلنا تراجم حياتهم العلمية

---

٨٠ ـ محمد المنوني : المصدر السابق ص١٢٩ ، المراكشي : المعجب ص٣٤٧

على عبقريتهم المبدعة في ميادين العلوم الصرفة المتنوعة[٨١] ـ التي كانت انعكاساتها الواضحة على تطور الدراسات الحسابية والجبرية والهندسية في بلاد المغرب على يد ابي عبيدة مسلم بن احمد بن ابي عبيدة البلنسي (ت ٢٩٥هـ/٩٠٧م) في قرطبة[٨٢] وابي القاسم مسلمة بن احمد بن

---

٨١ ـ انظر ابن النديم : الفهرست ، القفطي : تاريخ الحكماء : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ؛ حكمت نجيب عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب . حاجي خليفة : كشف الظنون : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين مطبعة الترقي ـ دمشق ١٩٥٩ : الزركلي :خيري الدين : الاعلام القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ ط. ثانية مطبعة بيروت ١٩٧٠ ؛ فدوى طوقان : تراث العرب العلمي ، القاهرة ١٩٦٣ جلال مظهر : اثر العرب في الحضارة الاوروبية ـ دار الرائد بيروت ١٩٦٧ ؛ عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ـ دار العلم للملايين ـ بيروت سنة ١٩٧٠ ، اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٢٨ ؛ محمد محمد فياض : جابر بن حيان وخلفاؤه . سلسلة ـ اقرا ـ الرقم ـ ٩١ ـدار المعارف ـ مصر ١٩٥٠ ؛ريسلر . جاك . س . : الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون ـ مراجعة الدكتور احمد فؤاد الاهواني ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة القاهرة ـتاريخ بلا . روحي الخالدي : الكيمياء عند العرب ـ دار المعارف مصر ١٩٥٣ :

Brocklemann, carl: Geschte der Arabischen Litteratur, Leiden 1943. 1 — p. 861, 870, 924. 11. p. 125, 154, 836 sanford, vera: Ashort History of mathem atics, U.S.A. p. 19

Ball, Rouse: A short Account of the History of Mathematics, New York p. 155, 156

Hell, Joseph: The Arab Civilization, cambridge p.80 — 97.

٨٢ ـ ابن الفرضي : المصدر السابق ق٬ ص١٢٦

قاسم بن عبد الله المجريطي (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)[٨٣] امام الرياضيين في الاندلس ، وابي القاسم احمد بن محمد بن احمد العددي (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م)[٨٤] . وابي القاسم اصبغ بن محمد بن السمح المهري (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٤م) اشهر مدرسي الاندلس في الرياضيات[٨٥] وابي محمد بن عبد الله بن حجاجا المعروف بابن ياسمين (ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م) الذي عرف بارجوزته في الجبر والمقابلة[٨٦] . واشتهر الفلكي الاندلسي ابو محمد جابر بن افلح في علم المثلثات[٨٧] ولمع اسم ابي علي حسن بن علي بن عمر المراكشي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) في هذا الميدان حيث الف في الرياضيات الفلكية كتابه (جامع المبادىء والغايات في علم الميقات) تضمن فصولاً من المثلثات . وعده حاجي خليفة من (اعظم ماصنف في هذا الفن)[٨٨] .

وتتجلى ملامح المدرسة العراقية في : نتاجات علماء المغرب في مجال الرياضيات والعلوم الصرفة الاخرى بما اورده عنهم بعض الكتاب المتخصصين في ميدان العلوم عند العرب . . فقد ذكر قدري طوقان مثلا ، بان ما جاء في كتاب الخوارزمي يعد بداية متطورة لم يكن لها مثيل يوناني او هندي او بابلي وهو في هذه الصورة المتسقة والمقننة في هذا الكتاب يعد نتاجا عربياً يختلف اختلافاً جوهرياً عما هو موجود في

---

٨٣ ـ القفطي : تاريخ الحكماء ص٣٢٦ ؛ صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص١٠٧

٨٤ ـ يلقب بابن الطنيري . انظر ابن بشكوال : الصلة ص٣٨

٨٥ ـ انظر بروكلمان G.A.L. S. 1,861

٨٦ ـ حاجي خليفة : كشف الظنون ١/٦٢و٦٣

٨٧ ـ توفي في حدود منتصف القرن السادس الهجري ومع ذلك كثيراً ما خلط المؤرخون الاوربيون بين اسمه واسم جابر بن حيان الكوفي . انظر حكمت نجيب : المصدر السابق ص١٧٢

٨٨ ـ كشف الظنون ١/٥٧٣

الحضارات السابقة[89] . . لذلك يمكننا القول بان علماء الرياضيات في الخلافة العباسية عيال على الخوارزمي في الجبر والمقابلات ، فكتاب اختصار الجبر والمقابلة لابي محمد بن محمد المعروف بابن بدر الاشبيلي[90] يذكر المسائل الست الموجودة في كتاب الخوارزمي . وطبق المغاربة قوانين ابي الحسن بن الهيثم الهندسية على فن البناء فشيدوا الابنية الضخمة والقصور الفخمة التي تميزت بالاتقان والمتانة كقصور الحمراء وحدائقها والقصر الكبير والجيرالدة والزهراء والزاهرة والنافورات المائية التي كانت تروي حدائقها[91] وكان ابو الوفاء البورجاني الذي يعد من اول العلماء العرب المشتغلين بتنمية حساب المثلثات قد سبق ابا محمد جابر بن افلح الاندلسي في هذا الميدان بوقت ليس بالقصير[92] . كما ان ابا علي المراكشي قد ضمن كتابه السابق الذكر معلومات ذات قيمة في موضوع المثلثات فادخل الجيب والسهم وعمل جداول لها[93] . اما مسلمة بن احمد بن قاسم المجريطي (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) فقد اعتمد في مؤلفه رسالة الاصطرلاب واختصار تعديل الكواكب على زيج البستاني ، كما عني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وزاد فيه جداول حسنة الا انه تابعه في خطئه ولم ينبه على مواضع الغلط فيه[94] . علماً بان المجريطي قد خرج تلاميذ كثيرين في علم الفلك انشأ بعضهم مدارس

---

٨٩ ـ قدري طوقان تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص١٦٢

٩٠ ـ من علماء القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي . انظر عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ١/٩١ : قدري طوقان : تراث العرب العلمي ص٤١٨ ـ ٤٢٢

٩١ ـ حكمت نجيب عبد الرحمن : المصدر السابق ص١٥١

٩٢ ـ انظر الدوميلي : العلم عند العرب ص٢١١

٩٣ ـ حاجي خليفة : كشف الظنون ١/٥٧٢

٩٤ ـ القفطي : تاريخ الحكماء ص٣٢٦

في قرطبة ودانية كأبي السمح الغرناطي وابي الصمار والزهراوي والكرماني واشهرهم عبد الرحمن بن خلدون[٩٥] .

واذا اخذنا بنظر الاعتبار جهود العراقيين المكثفة في دراسة مؤلفات اقليدس[٩٦] بشرحها وتصحيحها وتوضيحها جاز لنا ان نقول بانهم سبقوا اخوانهم علماء المغرب كعبد الرحمن بن اسماعيل بن زيد المعروف بالاقليدس وابي القاسم اصبغ بن محمد بن السمح المهري والقرطبي[٩٧] . وابي عباس احمد بن محمد بن عثمان الازدي المعروف بابن البناء المراكشي[٩٨] ونجم الدين ابي زكريا يحيى بن محمد المعروف بالصاحب بن اللبودي[٩٩] . بل ربما كانوا بمثابة الممهدين لهم سبل التعامل الناجح مع مؤلفات اقليدس في مجال العلوم الهندسية هذا مع العلم ان رسائل اخوان الصفا وما تضمنته من معلومات رياضية

---

٩٥ ـ انظر صاعد الاندلسي : المصدر السابق ص٩٣ ؛ حكمت نجيب : المصدر السابق ص٣١١

٩٦ درست مؤلفات اقليدس في العراق من قبل ابي جعفر بن الخازن (من علماء القرن الرابع الهجري) بوصفه شرحاً لكتاب الاصول لاقليدس (الدوميلي : العلم عند العرب ص٣١٢ ، الزركلي : الاعلام ٤/٥٧٧) . وابي القاسم علي بن احمد الانطاكي (ت ٣٧٦هـ/٩٨٦م) في تاليفه (كتاب تفسير اقليدس) انظر (الفهرست لابن النديم ص٤٠٩ ، القفطي .. تاريخ الحكماء ص٢٣٤) وابي الحسن بن الهيثم البصري في (شرحه مصادر اقليدس) انظر (القفطي . تاريخ الحكماء ص١٦٧و١٦٨) وابن سينا في كتابه (مختصر اقليدس) الذي ضمنه معلومات هندسية مبتكرة وطرقاً جديدة . انظر (القفطي تاريخ الحكماء ص٤١٣)

٩٧ ـ له زيج على غرار كتاب السند هند المترجم من قبل محمد بن ابراهيم الفزاري . التكملة ١/٢٠٦ : طبقات الامم ٦٩

٩٨ ـ توفي سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م انظر الدوميلي : العلم عند العرب ص٤١١ ـ ٤١٢

٩٩ ـ الزركلي : الاعلام ١/٢٢٥

وهندسية وفلكية قد نقلت الى بلاد المغرب بوقت مبكر ، حيث ادخلها الى الاندلس ابو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني القرطبي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) وهو احد العائدين من رحلاتهم العلمية في العراق بعد ان درس الطب والهندسة والعدد هناك - وقد بزّ اهل زمانه في الهندسة وفي فك غوامضها وتبيين مشكلاتها واستيفاء اجزائها[١٠٠] .

ولكي نبين جوانب تلك المؤثرات نكتفي بما ذكره بروفنسال عن المؤثرات العراقية في الفن المعماري والزخرفي حيث قال : « ويبدو جلياً ان الفن الاسباني - المغربي ، ذلك الذي يتجلى ، قبل كل شيء في جامع قرطبة الكبير خضع في خلال التبدلات المتتالية في هذا البناء المقدس ، لمؤثرات من بلاد ما بين النهرين لا يستطيع احد ان ينكرها ، وقد اقتبسها في الوقت الموافق عن طريق افريقية التي تعتبر (مرحلة في الطريق بين بغداد والاندلس) او من جهة ابعد تارة اخرى عن طريق فسطاط ابن طولون او القاهرة في ايام الفاطميين الاوائل »[١٠١] .

اما جورج مارسي Georges Marcais فقد اشار الى المؤثرات العراقية في الفنون الصناعية فقال : « الا ان الاثر الثابت الذي يتركه الشرق على ايام الخلفاء ، لم يكن فقط في قطاع الابنية وزخرفتها ، فان الفنون الصناعية تتسم هي ايضا بطابع الطرائق الغريبة . فخزف مدينة الزهراء الذي مازال بكميته المذهلة ينتظر من يظهره للناس يؤكد من ناحية فن صناعته ومزج الوانه والزخرف كما لو انه من اصل ما بين

---

١٠٠ - ابن ابي اصيبعه : المصدر السابق ص٤٨٤ : القفطي : المصدر السابق ص١٦٢

١٠١ - حضارة العرب في الاندلس ص٦٦

النهرين . . . »[١٠٢] .

ولكن في اطار العلوم الطبيعية يمكن ان تتخذ من جهود ابن سينا التي ضمنها كتابه الشفاء الواسع الصيت في بلاد المغرب. وخاصة ما يتعلق منها باسباب حدوث الزلازل والبراكين اساساً حفز المغاربة على الكتابة في هذا الميدان حتى اصدرت لهم مؤلفات عديدة نستشهد هنا بكتاب (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة)[١٠٣] لعمر بن العربي بن المعطي . وهو مخطوط في المكتبة الحسنية بالرباط برقم ٦٨٢٤ الذي يبدأ بذكر بعض الاحاديث المتعلقة بالزلازل وحوادثها . ثم يشرح اسباب الزلازل فيورد العلل التي ذكرها ابن سينا في كتابه الشفاء ثم يتكلم عن الزلازل الشهيرة في التاريخ والتي وقعت في البلاد العربية الاسلامية مع ذكر تواريخ وقوعها في البصرة ومصر والشام والاحواز ومدن العراق الاخرى والجزيرة والزلزلة الكبرى التي وقعت بالقاهرة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م والزلزلة التي وقعت بالمدينة سنة ٦٥٤هـ وذلك حتى اواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

---

١٠٢ ـ ج. مارسيه G. Marcuis : الفن الاسلامي الاسباني في مجلة Hesperis p.Z XX11 سنة ١٩٣٦ ص١٠٧ ـ ١٠٨ نقلاً عن حضارة العرب في الاندلس لبروفنسال ص٦٧

١٠٣ ـ انظر بروكلمان G.A.L.S 11, p. 42 — 147. 183

د ـ الجوانب الفنية والاجتماعية :

منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجري اصبحت المبادىء الاساسية للحياة العامة في قرطبة بالذات صورة منقولة عن نظم الحياة العباسية حتى لايبقى امراء قرطبة متخلفين عن خلفاء بغداد الذين وصف العائدون من المشرق تنسيقهم المتشابك لمرافق الدولة . . . . فتشبهاً بالعباسيين صنع عبد الرحمن الثاني داراً للنقود ، ودشن استعمال الخاتم الرسمي واسس داراً للطراز ، اذ نظم مصانع تنتج اقمشة وسجادا من جميع الوجوه باجمل مصنوعات الشرق في القرون الوسطى . . . وقد عمل جميع امراء الامويين من بعده ضمن التقليد العباسي هذا بحيث لم يبرز لديهم طوال سنوات حكمهم سمتاً اندلسياً خالصاً بهم . . . . فكل ما كان يفد من بغداد او من المدن العراقية الكبرى كان يستقبل باعجاب او بامتثال في ربوع بلاد المغرب عامة والاندلس بشكل خاص . ويمكن ان نتخذ من نشاط زرياب الفني والاجتماعي طيلة خمس وثلاثين سنة قضاها في الاندلس نموذجاً لتلك التأثيرات . . حيث قرر هو بلا منافس مسائل الاناقة وابتكار الازياء الجديدة للبلاط اولا ولعامة الشعب ثانيا . . . . . وقدم للموسيقى العربية خدمات جليلة فطور العود من ثلاثة اوتار الى خمسةواخترع له مضرباً من قوادم النسر بدلا من المضرب المصنوع من الخشب . . ووضع طرقاً للغناء اصبحت علماً خاصا بالاندلس(١٠٤) .

وتغلغلت شخصيته في الوسط الاجتماعي حتى بلغت المطبخ

---

١٠٤ ـ محمد لبيب البتنوني : رحلة الاندلس . الرباط . ١٩٢٧ ط. اولى ص١٠٣

الاندلسي فقيل انه علم اهالي قرطبة صنع الاطعمة الشرقية المعقدة الصنع على النمط البغدادي في كيفية اعداد وجبة راقية من الطعام . . . . وعلمهم نظام آداب المائدة وكيفية تقديم الوان الطعام بما ينسجم والذوق البغدادي الرفيع . . . . ووضح لهم مثلا ان اقداح الزجاج الثمين تكون اكثر ملاءمة مع اناقة المائدة من طاسات الفضة والذهب . . . . وثبت لهم مقاييس في فن الجمال وهندسة شعر الرأس وغير ذلك . . . وعودهم على الالبسة حسب فصول السنة فوضع لهم مفكرة للزي تقضي بان يلبس الابيض منذ مطلع حزيران حتى نهاية تشرين الاول وفي الربيع تلبس الثياب الحريرية الخفيفة مع سترات ذات الوان زاهية . وفي الشتاء يلبس الفراء المبطن ومعاطف الفراء . وكان الناس يتلمسون آراءه فيطبقونها نصاً وروحاً[١٠٥] .

ومن الجدير بالذكر ان العنصر المشجع لزرياب على غرس ابداعاته الغنائية والفنية والاجتماعية في الاندلس هو تفويض الامراء له في كل ما يقترح ويخترع . كما واجه شعباً مرحاً ميالا بطبعه للغناء والموسيقى وله مواهب واستعدادات للاخذ بكل جديد مع امتلاكه لذوق فني ظاهر ورفيع وبخاصة لدى الشريحة الاجتماعية المنحدرة من سلالة القوط والنازحين من صقلية . . . وقد صقلهم الذوق العربي واغرموا في شعره وافتتنوا فيه وابتدعوا الموشحات والازجال وتغنوا بها فرادا وجماعات ، حتى اصبح نشاطه مادة للتأليف من قبل ادباء عصره . فهذا اسلم بن احمد بن سعيد ابو الحسن يؤلف كتاباً في اغاني

١٠٥ ـ انظر في ذلك بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص٥٥ ـ ٥٧

زرياب تيسر المسالك لوقوف الناس على اغانيه[١٠٦] .

ولهذا وجد زرياب منذ دخوله الى الاندلس سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م) وحتى وفاته سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م التربة الخصبة لنمو فنه والمجتمع الواعي لفهم ذلك الفن والتفاعل مع مفرداته بدقة متناهية واجادة تامة واعجاب كبير . . وكان زرياب يجدد ويبدع ويضيف ويطور في انماط المآكل والملبس ورجال البلاط ثم عامة الشعب يقبلون ذلك بلا تردد كما رسم لهم طرقاً رقيقة للتفاهم والتخاطب الاجتماعي بما رفع من مستواهم الادبي والفني مما جعل عهد عبد الرحمن الثاني من ازهى عهود الاندلس حضارة ومدنية وتقدماً في جميع مجالات الحياة الفنية والاجتماعية . وبذلك يقول حسين مؤنس مبالغا : « ان افريقية الاسلامية قد تحضرت وتهذبت على يد مالك ، كما تحضر الاندلس وتهذب على طريقة علي بن نافع الملقب بزرياب ، وهذه حقيقة لا ينبغي ان تغيب عن بالنا ونحن ندرس تاريخ المغرب في تلك العصور »[١٠٧] .

وهذا الاستاذ جوزيف ماك كيب يتأسف لان اوربا في ماضيها وحاضرها لم تنجب موهبة موسيقية تضاهي زرياب وفي نص مطول يقول : « فاين يوجد في عالمنا شخص يداني زرياب القرطبي الموسيقي الشهير . . . . وانا لا ادري هل ذلك فوق مقدرة المغنين في عصرنا ام لا ؟ ولكني اعلم ان ماعندهم انما هو جزء مما كان عند زرياب ، وكان عالماً بالعلوم العالية في ذلك الزمان كالجغرافية والطب والفلسفة مثل ماكان عالماً بالموسيقى فاخترع عطوراً جديدة وادهانا لتجميل اللون ،

---

١٠٦ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٢٢٤ ـ ٢٢٥

١٠٧ ـ مقدمة : رياض النفوس ـ للمالكي ـ القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ١/ ١٢

وجلب الاغذية والعقاقير ، ووضع طرازا صحيا للملابس . . . واوجد في الناس تهذيبا في الوجهة الاجتماعية . وكانت نوادره ولطائفه تروى حكما وامثالا في جميع بلاد الاندلس »[١٠٨] .

ونظرا لتوفر الشواهد التاريخية نستطيع القول بان زرياباً قد طبع الذوق الاندلسي بالغناء العراقي الرفيع . فيذكر ابو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري (ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م) عن مجلس تميم بن ابي الهيثم ما يؤكد لنا ذلك بقوله : « كنت من جلاس تميم بن ابي تميم وممن يخف عليه جداً قال : فارسل الى بغداد فابتيعت له جارية رائعة فائقة فلما وصلت اليه دعا جلساءه قال : فكنت فيهم ثم سدت الستارة وامرها بالغناء فغنت . . . »[١٠٩] . وهجرته بعد مدة عائدة الى العراق شوقا وحنيناً اليه . وكذلك الحال بالنسبة الى ابراهيم بن الحجاج الذي بعث في طلب (قمر البغدادية) التي استجابت لطلبه وقدمت عليه لتغني في حضرته في اشبيلية منافسة منه لاميرة قرطبة . ونشرت فنها في الاندلس وابدعت . كما سبق للمغنية فضل ان نشأت في بلاط الرشيد حيث تلقت تربية شعرية وموسيقية لا مثيل لها وارسلت من بغداد الى المدينة فاستطاع رسل الامير عبد الرحمن الثاني الحصول عليها لحساب سيدهم مع اثنتين لم تكونا اقل جمالاً وثقافة »[١١٠] .

ويمكن ان ننهي القول في كون بلاد المغرب وخاصة الاندلس

---

١٠٨ ـ مدنية المسلمين في اسبانيا ـ مكتبة المعارف الرباط . ط. ثانية سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص٨٣ ـ ٨٤

١٠٩ ـ الضبي : بغية الملتمس ٩٦/١

١١٠ ـ بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس ص٥٧ ـ ٥٨

كانت تتقفى خطوات العراق في المظاهر الاجتماعية بما ذكره ابن جلجل في ترجمته لاحمد وعمر ابني يونس الحراني اللذين نقلا للخليفة المستنصر بالله الاموي بعد عودتهما من العراق جوانب من التحضر الاجتماعي في العراق حيث نقل له احمد مثلا وصفاً عن اناقة المطبخ البصري ونظافته قائلا : « وصفت لامير المؤمنين المستنصر بالله حوانيت البصرة للطباخين رأيت اتقانها ، وحسن ترتيب الاطعمة ، وانها موضوعة في غضاير ، وعليها مكاب الزجاج ، ولهم خدام وقوف بالمناديل والاباريق . والحوانيت مسطحة بالرخام الملون الفائق الحسن . . . . . فركب المستنصر يوماً من الزهراء الى قرطبة ، وانا في موكبه ، فلما اتى المُدى ـ موضع الطباخين ـ نظر الى الملل التي يطبخ فيها الشحوم والاطراف فتأملها ، فلما نزل القصر ، افتقدني ، فاوصلني الى نفسه ، وقال لي : يا احمد ! . اين هذه الملل من تلك الغضاير التي بالبصرة ؟ وضحك على ذلك . . . »[١١١] .

١١١ ـ طبقات الاطباء والحكماء ص١١٣ . والمدى : السوق . وهذه الكلمة استعملت في الاصل عند الاندلسيين لسوق الدقيق ، ثم اصبحت علماً على السوق ، مطلقاً ومازالت موجودة الى الآن في اللغة الاسبانية لهذا المعنى . السوق ALmudi انظر هامش رقم ٩ في ص١١٤

المبحث الرابع

تراجم منتخبة لطلبة الرحلات العلمية

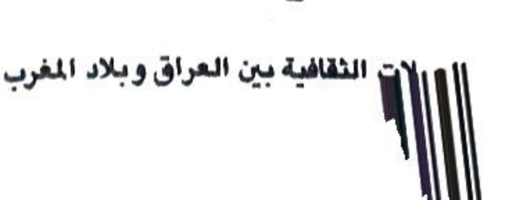
المغربية الى العراق

قد يتعذر علينا ان نحدد بدقة افاق التأثيرات العلمية للمدرسة العراقية في بلاد المغرب المعروفة بتداخل خصائصها وتشعبها وتشابك تأثيراتها العلمية بتعدد مجالاتها وذلك لامور كثيرة منها :

١ - ان المظان لم تقدم لنا حصراً كاملاً باسماء جميع طلبة الرحلات العلمية الذين ارتحلوا بين العراق وبلاد المغرب بسبب تلف بعض تلك المظان واغفال مصنفي التراجم والاخبار لذكر الكثير منهم ، وبذلك يقول المقري : « حصر اهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا حال »[1] .

---

١ - نفح الطيب ٢/٥



٢ ـ ان عطاء المدرسة العراقية في بلاد المغرب قد لا يتحدد من خلال عدد من ارتحل الى العراق ليتعلم هناك او الكتب التي تناقلتها الصدور او الاحمال فحسب[٢] . وانما قد يأتي ايضا من القيمة العلمية التي ارخها العائدون الى بلدانهم في اوساطهم الاجتماعية والثقافية في اطار عملية التعليم والتعلم او من خلال مدى التجاوب مع افكار ومناهج الكتب العراقية المتسربة الوافدة عليهم عن طريق الكتب او طلبة الرحلات العلمية فابن الجيان ابو عمر احمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٤م) كان كثير الاعتزاز بالسماع من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وقاسم بن محمد وهم اعلام مغاربة كانوا قد تلقوا العلم في العراق .[٣] علماً بان قاسماً (ت ٣٤٠هـ/٩٥٢م) هذا على الرغم من علميته التي وصفه الخشني من خلالها فسماه (بمعلم الاندلس) لم ينقطع عن مواكبة السماع من بقي بن مخلد ومحمد بن واضح فضلاً عن سماعه من الحارث ابي اسامة وابن ابي الدنيا

---

٢ ـ انظر فيما قاله ابن حزم عند احراق كتبه ـ التوالي : المصدر السابق ص٦٧٤ وانظر ايضاً ترجمة : ابو علي القالي عند دخوله القيروان حول الكتب التي باعها هناك . وفي ترجمة عطية بن سعيد يقول الضبي : « وكان قد جمع كتباً حملها على بخاتي كثيرة .... » بغية الملتمس ص٤١٦

٣ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ١ /٣١

وابن ابي خيثمة[4] . وقرأ احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي بسبتة كتاب مسلم في الحديث على عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجري (٥٩١هـ/١١٠٣م)[5] .

وقد نبغ محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٠٠م) على يد ابن حزم في مجال التاريخ حيث صنف كتابا سماه « جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس » خصصه لسيرة وحياة علماء الاندلس ... ويعترف ابن بشكوال صراحة في اعتماده على هذا الكتاب[6] . ومع ان ابن الجد الفهري محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج (ت ٥٨٦هـ/١٠٩٨م) لم يرحل الى بغداد الا انه كان يتباهى بانه يروي عن ابن الاخضر كتاب سيبويه في النحو[7] .

٣ ـ ان طلبة العلم المغاربة كانوا يلاحقون علماء العراق ونتاجاتهم العلمية أنّى كانوا في بلاد العالم الاسلامي ليأخذوا منهم ويستفيدوا بعلمهم وبذلك يقول ارسلان : « كان الرحالة الطلبة اذا ما التقوا بعلماء العراق في مكة او غيرها يأخذون عنهم

---

٤ ـ السيوطي : طبقات الحفاظ ص٣٥٢ ؛ الحميدي : جذوة المقتبس ٢/٢٥١ ؛ ابو المحاسن :النجوم الزاهرة ٣/٣٠٧ ؛ ابن الفرضي : نفس المصدر ١/٣٦٤

٥ ـ انظر ترجمة الحميدي في ابن بشكوال : الصلة ص٥٣٠ ؛ السيوطي : نفس المصدر ص٤٤٧

٦ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٨٨

٧ ـ المصدر نفسه ١/٣٢٥

ويغنيهم ذلك عن قصد العراق »[8] . والامثلة كثيرة لا تحصى فابو سعيد بن سحنون بن سعيد بن حبيب قاضي القيروان وفقيهها البارع سمع بمصر والمدينة ومكة من سفيان بن عيينة الكوفي وعبد الرحمن بن مهدي البصري ووكيع بن الجراح الكوفي وحفص بن غياث الكوفي ويزيد بن هارون الواسطي وابي داود الطيالسي البصري[9] وغيرهم ، لذلك قال سحنون لرجل سأله عن مسألة : « اني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن ..... »[10] وقال في مكان آخر استدراكاً على تأخره في الاجابة « وانا احفظ مسائل فيها ثمانية اقاويل من ثمانية ائمة فكيف يسعني ان اعجل في الجواب حتى اتخير ؟ فلم ألام على حبس الجواب ؟ »[11] . وسمع زكريا بن حيون الحضري الاندلسي (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني[12] وكان محمد بن احمد بن يحيى بن مفرج القاضي (ت ٣٤٥هـ/٩٥٧م) قد سمع بمصر من ابي الحسن محمد بن ايوب بن حبيب الرقي صاحب احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري . وصف كتابا في فقه الحديث ، وفقه

---

٨ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ص١٨٢

٩ ـ المالكي : رياض النفوس ٢٤٩

١٠ ـ المالكي : المصدر السابق ٢٥٤/١

١١ ـ المصدر نفسه ٢٥٦/١ ؛ عياض : ترتيب المدارك ١٢٤/١

١٢ ـ الضبي : المصدر السابق ص٢٧٩

التابعين منها : فقه الحسن البصري في سبع مجلدات . وفقه الزهري في اجزاء كثيرة[١٣] .

وسمع اسماعيل بن عبد الرحمن بن علي ابو محمد القرشي العامري (ت ٤٠٠هـ/١٠١٢م) في اشبيلية من ابراهيم بن بكر الموصلي حال قدومه اليها[١٤] اما احمد بن فتح بن عبد الله التاجر (ت ٤٠٠هـ/١٠١٢م) فقد سمع بمصر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبه النحري في سبعة اجزاء عن ابي محمد عبد الله بن احمد بن حامد البغدادي[١٥] وفي مكة سمع هشام بن سعيد الخير فتحون ابو الوليد الكاتب (ت ٤٣٠هـ/١٠٤٢م) من بندار القزويني وابي محمد مكي بن عيسون وابي عبد الله بن محمد بن سهلان الواسطي[١٦] .

ويعد ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) من اكبر المحدثين في المغرب العربي الاسلامي حسب شهادة ابن بشكوال . وعلى الرغم من انه لم يرحل الى المشرق الا ان ذلك لم يمنعه ان يكون ضليعاً من الحديث والفقه والانساب والاخبار لملازمته ابا الوليد بن الفرضي وعنه اخذ كثيراً من علم الرجال

---

١٣ ـ المصدر نفسه ص٤٢

١٤ ـ المصدر نفسه ص٢١٦

١٥ ـ المصدر نفسه ص١٨٦

١٦ ـ المصدر نفسه ص٤٧١

والحديث[17] وفي مكة اختص عمر بن محمد بن علي الصنهاجي المراكشي السوسي الاصل (ت ٦٢٢هـ/ ١١٣٤م) بعد ان شرق طالباً للعلم بالفقيه ابي محمد عبد الوهاب البغدادي صهر ابن معافي واخذ عنه اصول الفقه وتعليقة ابي سعيد محمد بن يحيى في مسائل الخلاف وهو اول من ادخلها الى المغرب .[18]

٤ ـ ومن الصور الاخرى التي تبين مدى تأثير المدرسة العراقية في حياة المغرب الثقافية والعلمية ان عدداً كبيراً من دارسي تلك العلوم ولا سيما الفقهية واللغوية منها حصلوا على اجازات من علماء العراق بالاملاء والرواية عنهم من دون ان يرحلوا لمقابلتهم في العراق او اي مكان اخر وذلك لكونهم درسوا كتبهم وفق مناهجهم او تتلمذوا على ايدي طلبتهم العائدين الى بلدانهم . . . وقد برزت هذه الظاهرة في القرنين السادس والسابع على وجه الخصوص وقد يعود ذلك الى الفتور الذي حصل في عدد الراحلين الى المشرق من طلبة المغاربة عما كان عليه الحال في القرنين الثالث والرابع الهجريين ومن ابرز المجازين علميا ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ابو القاسم المعروف بابن الافليلي (ت ٥٩٠هـ/١١٠٢م) الذي استجاز جميع محدثي العراق[19] حتى

١٧ ـ ابن حزم : رسائل بن حزم ٢ /١٧٩ : وكان ابن الفرضي قد رحل في طلب العلم اولا واخذ عن بعض علماء العراق الوافدين على بلاد الاندلس ثانيا ومنهم علي بن عباس الانصاري وابو الحسن بن الدقاق البغدادي الذي دخل الاندلس سنة ٣٧٠هـ وجال في مجانة وقرطبة وطليطلة التي توفي فيها سنة ٣٨٠هـ بعد تناوله كمية كبيرة من مادة البلاذر . انظر ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص١٦٠

١٨ ـ الذيل والتكملة ق١ ص٢٣٧

١٩ ـ الضبي : بغية الملتمس ص١٩٩

اصبحت حلقته في الاندلس تحتل الموقع الاول وتتلمذ عليه عدد كبير غدوا فيما بعد رواداً للحركة العلمية وعرفوا بحلقاتهم العلمية المرموقة ومنهم عيسى بن سلمان النحوي المعروف بالاعلم قد تتلمذ في مدرسة ابن الافليلي بعد عودته من العراق حتى اصبح عالماً باللغة العربية والضبط ومعاني الاشعار[٢٠] وكذلك الحال بالنسبة الى ابن مروان عبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٥م) الذي تتلمذ على يده حتى صار اماماً للغة في قرطبة[٢١] في حين درس احمد بن عبد الله بن احمد بن عيسى الكناني (٤٩٥هـ/١١٠١م) في حلقة ابي مروان بن سراج وغدا من ابرع اهل بلده في معرفة النحو واللغة والادب والاشعار[٢٢] . ويقول ابن بشكوال انه فاق اهل زمانه في الحفظ والاتقان والضبط . وحصل احمد بن محمد بن ابي الخليل مفرج الاموي (٥٦١ ـ ٦٣٧هـ/١٠٧٣ ـ ١١٤٩م) بتقويم من شيخه في العراق على اذن طائفة من البغداديين والعراقيين بالرواية عنهم . وابرزهم ظفر بن محمد وعبد الرحمن بن مبارك وعلي بن محمد اليزيدي وابو سنبة ومحمد بن نصر والصيدلاني وفيروز بن سعد وابن تيمية ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي وابن هوازن القشيري وابو الحسن النيسابوري[٢٣] . وبلغ **عدد من اجاز محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن بن سليمان الازدي السبتي (ت٦٦٠هـ/١١٧٢م) من علماء بغداد اكثر من (٣٩) عالماً ومن واسط**

---

٢٠ ـ توفي عيسى بن سلمان سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م انظر ابن بشكوال : الصلة ٦٤٣/١

٢١ ـ المصدر نفسه ٣٤٦/١ ـ ٣٤٧

٢٢ ـ المصدر نفسه ٧٤/١

٢٣ ـ لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ص٣١٧

(٤) علماء ومن اربيل عالمين[٢٤] . كما كانت لابي عبد الله محمد بن عياض مراسلات ومكاتبات مع كثير من علماء المشرق بلغوا نيفاً وثمانين رجلاً ، اجازه منهم واحد وستون رجلا فيهم كثير من اهل العراق بلغ عددهم في بغداد (٣٦) عالماً وفي واسط (٤) علماء وفي الموصل (٤) علماء وفي اربيل عالمين[٢٥] .

ويتضمن هذا المبحث تصنيفاً لاسماء بعض طلبة الرحلات العلمية الذين قصدوا العراق من بلاد المغرب وتلقوا العلم من مدنه الرئيسة على النحو التالي :

الاسم	سنة الوفاة	دخول العراق ومدنه
١ ـ عبدالله بن فروخ ابو محمد الاندلسي[٢٦]	١٧٦ هـ/٧٩٢ م	بغداد
٢ ـ عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني[٢٧]	١٩٠هـ/٨٠٥م	سنة ١٧١هـ/٧٨٧م بغداد
٣ ـ جودي بن عثمان النحوي العبسي[٢٨]	١٩٨هـ/٨١٣م	بغداد

٢٤ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق' ص٣٠٣ ـ ٣٠٦

٢٥ ـ ابو عبد الله المراكشي : المصدر نفسه ق'ص٣٤٢ ـ ٣٤٤

٢٦ ـ ترتيب المدارك ١٠٤/٣ ز ١١٢ : رياض النفوس ١١٣/١ ـ ١١٧ : معالم الايمان ٢٣٩/١

٢٧ ـ تاريخ علماء الاندلس ق' ص٣٠ : ترتيب المدارك ٦٥/٣ : معالم الايمان ٢١٥/١ رياض النفوس ١٤٣/١ ـ ١٤٨

٢٨ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٣٣/٢

٤ ـ عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن القرطبي[٢٩] ٢٠٢هـ/٨١٧م بغداد

٥ ـ محمد بن عيسى بن عبد الواحد المعافري المعروف بالاعشى[٣٠] ٢٢٠هـ/٨٣٥م سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م بغداد

٦ ـ مَدلج بن عبد العزيز بن رجاء المدلجي (ابي خندف)[٣١] ٢٥٩هـ/٨٧٢م بغداد

٧ ـ يحيى بن ابراهيم بن مزين ابو زكريا الطليطلي[٣٢] ٢٥٩هـ/٨٧٢م بغداد

٨ ـ وهب بن نافع الاسدي القرطبي[٣٣] ٢٧٣هـ/٨٨٦م بغداد

٩ ـ عبد الله بن ابراهيم بن وزير القرطبي[٣٤] ٢٧٣هـ/٨٨٦م بغداد

١٠ ـ محمد بن ادريس بن ابي سفيان الانصاري الجياني[٣٥] ٢٧٥هـ/٨٨٨م البصرة

---

٢٩ ـ الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ـ مخطوط ـ الرباط ـ ورقة ١١٨٠

٣٠ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٤٤١/٤

٣١ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص١٥٢ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٤٦٠

٣٢ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٨١ ؛ الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ١٩٣ ب ؛ ابن عجيبة : ازهار البستان في طبقات الاعيان ، مخطوط ، الرباط ص٢٤

٣٣ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص١٦١ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٤٤١/٤

٣٤ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص١٧٦

٣٥ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٤٥٥/٤

١١ ـ سعيد بن عمران بن مشرف القرطبي[٣٦] ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بغداد

١٢ ـ بقي بن مخلد بن يزيد ابو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي[٣٧] ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بغداد ـ الكوفة البصرة ـ واسط

١٣ ـ قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار القرطبي[٣٨] ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بغداد

الاسم	سنة الوفاة	دخول العرق ومدنه
١٤ ـ محمد بن عبد السلام بن ثعلبه بن زيد القرطبي الخشني[٣٩]	٢٨٦هـ/ ٨٩٩م	قبل سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م بغداد ـ البصرة
١٥ ـ محمد بن وضاح بن بزيع ابو عبد الله القرطبي[٤٠]	٢٨٦هـ/ ٨٩٩م	بغداد
١٦ ـ عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي[٤١]	٢٨٦هـ/ ٨٩٩م	له رحلتان . بغداد ـ البصرة

---

٣٦ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص١٦١

٣٧ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص١٠٧ ، النباهي : المرقبة العليا ص١٨ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ص٦٢٩ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٢٢٩ ؛ السيوطي طبقات الحفاظ ص٢٧٧ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص١٦٧ ، الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء . ورقة ١١٥٩ ـ ١١٦٢ وفيه ذكر لجمهور كبير من علماء العراق الذين اخذ عنهم واخذوا عنه

٣٨ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٦ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ص٢٨٣

٣٩ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ٢/ ١٦ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص٦٣ ؛ الضبي بغية الملتمس ص٩٤ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ص٦٤٩ ، المقري : نفح الطيب ٢/ ٢٣٦ ابن حيان المقتبس ص٣٥

٤٠ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٦ ؛ ابن الفرضي : نفس المصدر ١/ ١٣ و٢١٥ ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ـ دار النشر للجامعيين ـ بيروت ١٩٥٧ تحقيق عبد الله انيس الطباع ص٧٨ ـ ٧٩ ؛ الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ـ مخطوط ١١٤٠ ـ ١٤٢ وفيه توفى سنة ٢٨٧ عن عمر ناهز الـ(٨٩) سنة ورقة ١٨٢

٤١ ـ ابن الفرضي : نفس المصدر ق١ ص٢١٧ ؛ ابن حيان : المقتبس ـ مدريد ١٩٧٩م ٥/ ٣٥ ـ ٣٦

الاسم	التاريخ	المكان
١٧ ـ ابراهيم بن نصر ابو اسحاق الجهني ويعرف بابن ابرول القرطبي(٤٢)	٢٨٧هـ/٩٠٠م	بغداد
١٨ ـ احمد بن ابراهيم بن فروة اللخمي	٢٩٠هـ/٩٠٢م	بغداد
١٩ ـ قاسم بن عبد الواحد بن حمزة البكري القرطبي(٤٣)	٢٩٣هـ/٩٠٥م	بغداد
٢٠ ـ محمد بن عبد الله بن الغازي ابو عبدّ الله القرطبي(٤٤)	٢٩٥هـ/٩٠٧م	البصرة
٢١ ـ بكر بن حماد بن سهر بن ابي اسماعيل الزناتي التاهرتي(٤٦)	٢٩٦هـ/٩٠٨م	بغداد
٢٢ ـ عبد الله بن يحيى الليثي ابو مروان من اهل قرطبة(٤٧)	٢٩٨هـ/٩١٠م	بغداد
٢٣ ـ ابراهيم بن موسى بن جميل ابو اسحق اصله من تدمر(٤٨)	٣٠٠هـ/٩١٢م	بغداد
٢٤ ـ قاسم بن عاصم بن خيرون بن سعيد المرادي(٤٩)	٣٠٠هـ/٩١٢	بغداد

٤٢ ـ ابن الفرضي : نفس المصدر ق١ ص٢٣

٤٣ ـ نفس المصدر ق١ ص٢٣

٤٤ ـ نفس المصدر ق١ ٣٥٠

٤٥ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٢٤ ؛ الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ١٨٨

٤٦ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ١/١٥١ ، حسين حسن عبد الوهاب : ديوان الاديب التونسي ص٣٣

٤٧ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٣٥٠ ، الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ١٤٧

٤٨ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص١٣ ـ ١٤ ، الضبي : بغية الملتمس ص٢٠٨

٤٩ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٥٨

٢٥ ـ محمد بن عبد الله بن سوار من اهل قرطبة[٥٠]	٣٠٢هـ/٩١٤م	سنة ٢٥٧هـ/٢٧٠م البصرة
٢٦ ـ قاسم بن ثابت . ابو محمد[٥١]	٣٠٢هـ/٩١٤م	بغداد
٢٧ ـ يحيى بن اسحاق بن يحيى بن كثير الليثي ويعرف بالرقيعة من اهل قرطبة[٥٢]	٣٠٣هـ/٩١٥م	بغداد
٢٨ ـ يحيى بن الاصبغ بن الخليل[٥٣]	٣٠٥هـ/٩١٧م	بغداد
٢٩ ـ محمد بن ابراهيم بن حيون . ابو عبد الله من اهل وادي الحجارة[٥٤]	٣٠٥هـ/٩١٧م	سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م بغداد
٣٠ ـ محمد بن محمد بن خيرون . ابو عبد الله[٥٥]	٣٠٦هـ/٩١٨م	بغداد
٣١ ـ محمد بن غانم من اهل بطليوس[٥٦]	ـــــــ	سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م بغداد
٣٢ ـ محمد بن زكريا بن محمد بن جعفر بن ابي عبد الأعلى اللخمي من اهل قرطبة[٥٧]	٣٢١هـ/٩٣٣م	بغداد

---

٥٠ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٢٤

٥١ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٢/١٣٦

٥٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص١٨٦ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٤٨٣

٥٣ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص١٨٦ ـ ١٨٧ ؛ الضبي : المصدر نفسه ص٤٨٣ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص٣٧٣ ـ ٣٧٤

٥٤ ـ الضبي : المصدر نفسه ص٤٤ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ص٣٢٨ ؛ ابن عساكر : التهذيب ٢/٢٢٢ ؛ المقري : نفح الطيب ٢/٦٠٤

٥٥ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ٢/١١٢ ، الحميدي : جذوة المقتبس ص٥٠ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٦٤

٥٦ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٥٧

٥٧ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٤٣ ، الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ١٥٠

٣٣ ـ ايوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش القوطي[٥٨]	٣٢٦هـ/٩٣٧م	بغداد
٣٤ ـ احمد بن عباد بن غدرون القرطبي[٥٩]	ـــــ	سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م البصرة
٣٥ ـ محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار ابو عبد الله من اهل قرطبة[٦٠]	٣٢٧هـ/٩٣٨م	سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م البصرة ـ الكوفة ـ بغداد
٣٦ ـ محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج ابو عبد الله القرطبي[٦١]	٣٣٠هـ/٩٤١م	سنة ٢٧٤هـ/٨٨٦م بغداد ـ الكوفة
٣٧ ـ عبد الملك بن العاصي بن محمد بن بكر ابو مروان السعدي من اهل قرطبة[٦٢]	٣٣٠هـ/٩٤١م	سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م بغداد ـ البصرة ـ الابلة ـ الكوفة
٣٨ ـ مروان بن عبد الملك بن مروان[٦٣]	٣٣٠هـ/٩٤١م	البصرة

---

٥٨ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص٨٧

٥٩ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص٤٥

٦٠ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص٤٦ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ص٣٤٩ ، وفي طبقات المحدثين والفقهاء ذكر لجمهور كبير من العلماء كان قد اخذ عنهم في بغداد والكوفة بالاضافة الى علماء مدينة قصر بن مسرة والقادسية . انظر ورقة ١١٣٦ ـ ١٣٨ب

٦١ ـ ابن الفرضي: المصدر نفسه ق٢ ص٥٢ الحميدي : جذوة المقتبس ص٦٣ ، وانظر اسماء من اخذ عنهم في بغداد والكوفة . طبقات المحدثين والفقهاء للخشني ورقة ١٧٤ ـ ٧٤ب

٦٢ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، الخشني : طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ٩٨ب ـ ١٠٣ب

٦٣ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٢٤

٣٩ ـ احمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار من اهل قرطبة[٦٣]	٣٣٨هـ/٩٤٩م	سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م بغداد
٤٠ ـ محمد بن زريق . ابو عبد الله يعرف بالغشا من اهل بطليوس[٦٤]	٣٣٩هـ/٩٥٠م	سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م بغداد
٤١ ـ قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف البياني ابو محمد[٦٦]	٣٤٠هـ/٩٥١م	سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م بغداد
٤٢ ـ عبد السلام بن زيد بن غياث اللخمي ابو الاصبغ من اهل اشبيلية[٦٧]	ت ٣٥٠هـ/٩٦١م	بغداد
٤٣ ـ مسلمة بن القاسم بن ابراهيم بن عبد الله بن حاتم ابو القاسم . من اهل قرطبة[٦٨]	٣٥٢هـ/٩٦٣م	سنة ٣١٣هـ/٩٦٣م البصرة ـ واسط ـ بغداد ـ المدائن
٤٤ ـ عمر بن عبد الملك بن سليمان بن عبد الملك بن موسى بن سالم بن هاني الخولاني . ابو حفص . من اهل قرطبة[٦٩]	٣٥٦هـ/٩٦٦م	بغداد ـ البصرة
٤٥ ـ محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالاحمر[٧٠]	٣٥٨هـ/٩٦٨م	سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م بغداد ـ الكوفة ـ البصرة

---

٦٤ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٦ ، طبقات المحدثين والفقهاء ورقة ١٤٩ ، جذوة المقتبس ص١٢٢

٦٥ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص٥٨

٦٦ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٤٠٦ ؛ الحميدي : جذوة المقتبس ص٣١١ ، الضبي : بغية الملتمس ص٤٣٣ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ رقم ٨٥٣ ، المقري : نفح الطيب ٢/٤٧

٦٧ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٠٧

٦٨ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٢٩

٦٩ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٢٥

٧٠ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٤٩

٤٦ ـ سعيد بن نصر بن عمر بن خلف الاندلسي[٧١]	ـــــ	شعبان ٣٥٠هـ/٩٦١م بغداد
٤٧ ـ اسعد بن حيون بن منصور بن عبدون الجذامي ـ من اهل استجه[٧٢]	٣٦٠هـ/٩٧٣م	الكوفة
٤٨ ـ محمد بن عبدون الجلبي العدوي[٧٣]	٣٦١هـ/٩٧١م	٣٤٧هـ/٩٥٨م البصرة
٤٩ ـ عبد العزيز بن عبد الملك ابو الاصبغ الصفار[٧٤]	٣٦٥هـ/٩٧٥م	بغداد
٥٠ ـ عمر بن يونس الحراني[٧٥]	قبل سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م	٣٣٠هـ/٩٤١م البصرة ـ بغداد
٥١ ـ احمد بن يونس الحراني[٧٦]	بعد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م	٣٣٠هـ/٩٤١م البصرة ـ بغداد
٥٢ ـ احمد بن محمد بن يوسف المعافري . من اهل قرطبة[٧٧]	٣٦٨هـ/٩٧٨م	سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣. بغداد

٧١ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٢٩٨

٧٢ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٧٤

٧٣ ـ درس الطب بالبصرة وكان قبل ذلك يؤدب بالحساب بالاندلس . وقد تأهل بالطب حتى تولى ادارة مارستان الفسطاط . انظر ابن جلجل : طبقات الاطباء ص١١٥ ، وابن ابي اصيبعه عيون الانباء ٤٦/٢ وانظر الجذوة لابن الخطيب . مخطوط ص٢٤ و٢٥

٧٤ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٢٧٨

٧٥ ـ ابن جلجل : المصدر نفسه ص١١٢ ـ ١١٤ : ابن ابي اصيبعه : المصدر نفسه ٤٢/٢

٧٦ ـ تولى اقامة خزانة في قصر المستنصر للطب لم يكن قط مثلها ابن جلجل المصدر نفسه والصفحة

٧٧ ـ ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٤٥

٧٨ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٥٧

الاسم	سنة الوفاة	دخول العراق ومدنه
٥٣ ـ عثمان بن حسين الحجازي . من اهل قرطبة	٣٧٠هـ/٩٨٠م	بغداد
٥٤ ـ قاسم بن خلف بن فتح الجبيري . من اهل طرطوشة[79]	٣٧١هـ/٩٨١م	بغداد
الاسم	سنة الوفاة	دخول العراق ومدنه
٥٥ ـ محمد بن وازع بن محمد الضرير ابو عبد الله القرطبي[80]	٣٧٤هـ/٩٨٤م	سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م بغداد ـ البصرة
٥٦ ـ يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسان ابو زكريا . من اهل طرطوشة[81]	٣٧٥هـ/٩٨٥م	سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م بغداد ـ البصرة
٥٧ ـ وهب بن حزام بن غالب يلقب بالغزال . من اهل طليطلة[82]	٣٧٧هـ/٩٨٧م	بغداد
٥٨ ـ محمد بن طاهر القيسي التدميري ويعرف بالشهيد[83]	٣٧٩هـ/٩٨٩م	بغداد ـ واسط
٥٩ ـ اسماعيل بن حرب بن خير بن فرج . ابو عبد الله . ويعرف بابن الثور . من اهل قرطبة[84]	٣٨٠هـ/٩٩٠م	بغداد

---

٧٩ ـ تاريخ علماء الاندلس ص٣٦٩ ؛ ترتيب المدارك ٧/٥ ـ ٨ ، التكملة ١/٢٩٢ ، الديباج المذهب ٢/١٥١

٨٠ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٨٦ : القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/١٦٥ ـ ١٦٦

٨١ ـ قيل سمع في بغداد لوحدها من سبعمائة عالم ومحدث وفقيه وكذلك سمع بالبصرة ودامت رحلته المشرقية نحو ٢٢ عاما . انظر ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص١٩٣ ـ ١٩٤ : الضبي : بغية الملتمس وفيه انه رحل قبل سنة ٣٥٠هـ/٩٦٣ ص٤٩٢ ـ ٤٩٣

٨٢ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٦٥

٨٣ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص٩٠ . القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/٢٠٣ المقري : نفح الطيب ٢/٢٣٤

٨٤ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٢٤٢

٦٠ ـ محمد بن صالح . ابو عبد الله القطان المعافري[٨٥]	٣٨٣هـ/٩٩٣م	بغداد
٦١ ـ محمد بن قاسم بن حزم بن خلف الثغري ويعرف بالبطرقولي[٨٦]	٣٨٣هـ/٩٩٣م	سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م البصرة ـ بغداد ـ الكوفة
٦٢ ـ ابراهيم بن بكر بن عمران بن عبد العزيز اللخمي . يكنى بابي اسحاق ـ من اهل البيرة[٨٧]	٣٨٥هـ/٩٩٥م	بغداد ـ الموصل
٦٣ ـ سعيد بن حسان بن العلاء . ابو عثمان من اهل قرطبة[٨٨]	٣٨٨هـ/٩٩٨م	بغداد
٦٤ ـ محمد بن احمد بن محمد بن قادم . ابو عبد الله[٨٩]	٣٨٨هـ/٩٩٨م	بغداد ـ البصرة
٦٥ ـ عبد الله بن محمد بن ربيع بن حسن . ابو محمد من اهل قرطبة[٩٠]	٣٨٩هـ/٩٩٨م	سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م بغداد ـ البصرة
٦٦ ـ عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي . من اهل قرطبة[٩١]	٣٩٠هـ/٩٩٩م	له رحلتان بغداد ـ البصرة
٦٧ ـ عيسى بن سعيد بن سعدان ابو الاصبغ الكلبي ـ من اهل قرطبة[٩٢]	٣٩٠هـ/٩٩٩م	سنة ٣٧١هـ/٩٨١م بغداد

---

٨٥ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص٩١ ؛ ابن الابار : التكملة ص٣٧٢ ، المقري : المصدر نفسه ١٤٢/٢

٨٦ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق٢ ص٢٤٤ ابن الابار : التكملة ص٣٧٥ ، عياض : ترتيب المدارك ٢٤/٧ ـ ٢٧ ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية ص٩٥

٨٧ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص١٣ ـ ١٤

٨٨ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص١٧٥ ؛ عياض : ترتيب المدارك ١٦٤/٧

٨٩ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق٢ ص١٠٠ ، عياض : المصدر نفسه والصفحة

٩٠ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٢٤٥

٩١ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص٣١٩

٩٢ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٣٣٧

٦٨ ـ عبد الله بن ابراهيم بن محمد الاصيلي[93]	٣٩٢هـ/١٠٠١م	سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م بغداد
٦٩ ـ الوليد بن بكر بن مخلد ابو العباس الغمري . من اهل سرقسطة[94]	٣٩٢هـ/١٠٠١م	بغداد
٧٠ ـ سعيد بن موسى بن مهص . ابو ابو عثمان الغساني . من اهل البيرة[95]	٣٩٣هـ/١٠٠٢م	بغداد
٧١ ـ احمد بن عمر . ابو العباس المعافري المرسي . من اهل طبيرة[96]	٣٩٦هـ/١٠٠٥م	بغداد ـ البصرة ـ الكوفة
٧٢ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر المعروف بالوهراني وبابن الخراز	ـــ	في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ـ بغداد ـ البصرة
٧٣ ـ محمد بن عمروس. ابو عبد الله القرطبي[98]	٤٠٠هـ/١٠٠٩م	بغداد .
٧٤ ـ محمد بن ابي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز من اهل سرقسطة[99]	ـــ	بعد سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م بغداد

---

٩٣ ـ ابن الفرضي : المصدر نفسه ق١ ص٢٤٩ ، الحميدي : جذوة المقتبس ٢٣٩ ، الضبي : بغية الملتمس ص٣٢٧ ، القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/١٣٥ ـ ١٤٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/٢٧٨ ؛ ابن خلدون : العبر ٣/٥٢ ، ابن عجيبة ازهار البستان ـ مخطوط ص٤٥ ؛ البغدادي : هدية العارفين ١/٤٤٨

٩٤ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٤٦٦

٩٥ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص١٧٦

٩٦ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٢/٤٥

٩٧ ـ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ق١ ص٣٦٩ ؛ ابن الابار : التكملة ١/٢٩٢ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/٥ ـ ٨ ، ابن فرحون الديباج المذهب ٢/١٥١

٩٨ ـ ابن بشكوال : الصلة ٤٦٢ ؛ المقري : نفح الطيب ٢/٦١

٩٩ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ٤/٦١ ؛ نفح الطيب ٢/٦٣٢

٧٥ ـ ابراهيم بن عبد الله بن حصن ابو اسحاق الغافقي(١٠٠)	٤٠٤هـ/١٠١٣	بغداد
٧٦ ـ احمد بن محمد بن فتحون الاموي(١٠١)	٤٠٧هـ/١٠١٦م	بغداد
٧٧ ـ احمد بن قاسم بن عيسى بن فرج . ابو العباس اللخمي الاقليشي(١٠٢)	٤١٠هـ/١٠١٩م	بغداد
٧٨ ـ موسى بن عيسى بن ابي حاج . ابو عمران الفاسي الغفجوي(١٠٣)	٤٢٩هـ/١٠٣٧م	بغداد
٧٩ ـ عبد الله بن غالب بن تمام الهمذاني(١٠٤)	٤٣٤هـ/١٠٤٢م	سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م بغداد
٨٠ ـ عثمان بن ابي بكر بن حمود بن احمد الصفدي ابو عمر السفاقسي(١٠٥)	ـــ	دامت رحلته من سنة ٤٢٠ ـ ٤٣٦هـ/ ٢٩ ـ ١٠٤٤م
٨١ ـ حسن بن حمود التونسي(١٠٦)	ـــ	بعد سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م بغداد
٨٢ ـ عتبة بن عبد الملك بن عاصم ابو الوليد المقرىء(١٠٧)	٤٤٥هـ/١٠٥٣م	سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م بغداد

١٠٠ ـ ابن الابار : التكملة ص١٣٣ ، ابن عساكر : التهذيب ٢/٢٢٢ ، المقري : نفح الطيب ٢/٦٠٤

١٠١ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٢/٣

١٠٢ ـ شكيب ارسلان : المصدر نفسه ٢/٤٧

١٠٣ ـ غفجوم : فخذ من زناته . وكانت له رئاسة في العلم . انظر ترتيب المدارك ٧/٢٤٣ ، شذرات الذهب ٣/٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، الصلة ٢/٥٧٧ ، معالم الايمان ٣/١٥٩ ؛ بغية الملتمس ص٤٤٢ ؛ الحلل السندسية ١/٢٧٢

١٠٤ ـ ترتيب المدارك ٨/١٨٨ ـ ١٨٩ ، الصلة ١/٢٨٨ ، الديباج المذهب ١/٤٣٥

١٠٥ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٣٩٧ ـ ٣٩٨

١٠٦ ـ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧/٢٦٢

٨٣ ـ العلاء بن عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم[١٠٨]	٤٥٠هـ/١٠٥٨م	بغداد
٨٤ ـ علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب ابو محمد[١٠٩]	٤٥٦هـ/١٠٦٣م	بغداد
٨٥ ـ عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس ابو القاسم القرطبي[١١٠]	٤٦١هـ/١٠٦٨م	بغداد ـ الاحواز
٨٦ ـ علي بن ابي القاسم بن عبد الله ابو الحسن المقرىء	٤٧٢هـ/١٠٧٩م	بغداد
٨٧ ـ سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب ابو الوليد الباجي ـ من اهل بطليوس[١١٢]	٤٧٤هـ/١٠٨١م	بعد سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤ بغداد ـ الموصل
٨٨ ـ محمد بن فتوحون ابو عبد الله الحميدي	٤٨٨هـ/١٠٩٥م	بعد سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٧م بغداد
٨٩ ـ عبد الدايم بن مرزوق بن خير ابو القاسم[١١٤]	اواخر القرن الخامس الهجري	سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م البصرة
٩٠ ـ لب بن هود بن لب ابو عيسى الجذامي	٥٠٧هـ/١١١٣م	بغداد

---

١٠٨ ـ الضبي : المصدر نفسه ص٤١٦

١٠٩ ـ الضبي : المصدر نفسه ص٤٠٣

١١٠ ـ ابن بشكوال : الصلة ص٤٦٢ ؛ المقري : نفح الطيب ٢/٦٣٧

١١١ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٢/٢٠

١١٢ ـ ابن بشكوال : الصلة ٢/١٩٧ ؛ ياقوت الحموي : معجم الادباء ١١/٢٤٦ ، الضبي : بغية الملتمس ص٢٨٩ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/١٤٢ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٢٠ ؛ النباهي : المرقبة العليا ص٩٥ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣/٣٣٤ ، ابن عساكر : التهذيب ٦/٢٤٨

١١٣ ـ الضبي : بغية الملتمس ص٤٢٠ ـ ٤٢١

١١٤ ـ ابن بشكوال : الصلة ص٣٨٤ ، السيوطي : بغية الدعاة ص٢٩٦ ؛ ابن الابار التكملة ص١٨٠ و ٤١٠

٩١ ـ حسين بن محمد بن فيرة بن خيون. ابو علي ويعرف بابن سكرة[١١٥]	٥٠٧هـ/١١١٣م	٤٨٢هـ/١٠٨٩م البصرة ـ واسط ـ بغداد
٩٢ ـ الحسن بن ابراهيم بن محمد ابو علي المالقي[١١٦]	٥١٥هـ/١١٢١م	بغداد
٩٣ ـ يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي ابو بكر القرطبي الملقب بضياء الدين[١١٧]	٥١٧هـ/١١٢٣م	بغداد
٩٤ ـ محمد بن سعدون بن مرجي ابو عامر القرشي العبدري[١١٨]	٥٢٤هـ/١١٢٩م	بغداد
٩٥ ـ محمد بن الوليد بن رندقة ابو بكر الطرطوشي[١١٩]	٥٢٥هـ/١١٣٠م	بغداد ـ البصرة
٩٦ ـ سعد الخير بن محمد بن سعد ابو الحسن الانصاري البلنسي[١٢٠]	٥٤١هـ/١١٤٦م	بغداد
٩٧ ـ محمد بن الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن العربي العافري الاشبيلي ويكنى بابي بكر[١٢١]	٥٤٣هـ/١١٤٨م	في حدود الخمسمائة للهجرة . وله رحلتان

١١٥ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ٢/١٨٢

١١٦ ـ ابن بشكوال : الصلة ص١٤٣ ،ابن عساكر : التهذيب ٤/٣٠٩ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣/١٠٤ ، المقري : نفح الطيب ٢/٩٠ ؛ ابن عجيبة : ازهار البستان ص٦٠

١١٧ ـ ابن الابار : التكملة ص٤٣٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ٢/١٥٧

١١٨ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٢١٩ ؛ غاية النهاية ص٣٧٢

١١٩ ـ ابن بشكوال : الصلة ص٥٣٤ ؛ المقري : نفح الطيب ٢/١٣٨

١٢٠ ـ ابن الابار : التكملة ص٤٣٣ ؛ المقريء نفح الطيب ٢/١٥٤

١٢١ ـ الضبي : بغية الملتمس ص١٧٩ ، ابن عجيبة : ازهار البستان ص٦٥ ـ ٦٦

٩٨ ـ محمد بن احمد بن ابراهيم ابو عبد الله الخزرجي ويعرف بالبغدادي . من اهل جيان[122]	٥٤٦هـ/١١٥١م	بغداد
٩٩ ـ عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة ابو الاصبغ بن الطحان الاشبيلي[123]	——	قبل سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م بغداد ـ واسط
١٠٠ ـ محمد بن علي بن ياسر ابو عبد الله الجياني ويكنى بابي بكر[124]	٥٦٣هـ/١١٦٧م	سنة ٥٢٠هـ/١١٣٥م بغداد
١٠١ ـ محمد بن ابراهيم بن خلف بن احمد الانصاري ابو عبد الله المعروف بابن القماري[125]	٥٩٠هـ/١١٩٣م	بغداد

---

١٢٢ ـ ابن الابار : التكملة ص٤٧٤ ، المقريء : نفح الطيب ١٥٦/٢

١٢٣ ـ ولد باشبيلية سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م انظر في ترجمة محمد بن احمد بن عثمان الذهبي : المختصر المحتاج اليه . تحقيق مصطفى جواد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٧٧ ٤٥/٣

١٢٤ ـ ابن الابار : التكملة ص٥٢٠ ، المقري : نفح الطيب ١٥٧/٢

١٢٥ ـ لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ٢٨٠/٢ ؛ المقري : نفح الطيب ٦١٨/٢

١٠٢ ـ الرندي ابو عبد الله بن الحكيم(١٢٦)	٥٩٨هـ/١٢٠١م	بغداد
١٠٣ ـ محمد بن قاسم بن عبد الكريم التميمي ابو عبد الله الفاسي(١٢٧)	٦٠٤هـ/١٢٠٣م	بغداد
١٠٤ ـ محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابو بكر من العربي الاشبيلي(١٢٨)	٦١٧هـ/١٢٢٠م	بغداد
١٠٥ ـ عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز بن هلال. ابو محمد اللخمي الاندلسي(١٢٩)	٦١٧هـ/١٢٢٠م	بغداد ـ واسط
١٠٦ ـ احمد بن تميم بن هشام بن احمد بن حنون. ابو العباس البهراني الاشبيلي(١٣٠)	٦٢٠هـ/١٢٢٢م	سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م بغداد
١٠٧ ـ عمر بن حسن بن علي بن محمد بن محمد بن فرج بن خلف بن قوحس بن مزلال(١٣١)	٦٣٣هـ/١٢٣٥م	بغداد ـ واسط
١٠٨ ـ احمد بن محمد ابي الخليل مفرج الاموي ابو العباس ويعرف بالعشاب من اهل اشبيلية(١٣٢)	٦٣٧هـ/١٢٣٩م	بغداد

---

١٢٦ ـ لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ٢/٣٣٨ وفيه كان حياً في القرن السابع الهجري

١٢٧ ـ ابن الابار : التكملة ص٦٠٣

١٢٨ ـ المقريء : نفح الطيب ٢/٦٢٦

١٢٩ ـ المقريء : نفح الطيب ٢/٦٢٦

١٣٠ ـ ابن الابار : التكملة ص١١٣ : المقريء : نفح الطيب ٢/٦٠٣

١٣١ ـ ابو عبد الله المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٢١٧ ـ ٢٢٠

الاسم	الوفاة	تاريخ الوصول والمدن
١٠٩ ـ محمد بن علي بن عبد الرحيم بن هشام ابو عبد الله الانصاري الاوسي المراكشي . نشأ بمدينة سلا[133]	ــــــ	سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م بغداد ـ تكريت ـ الموصل
١١٠ ـ علي بن ابي نصر فاتح بن عبد الله ابو الحسن البجائي[134]	٥٦٢هـ/١٢٥٤م	بعد سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م بغداد ـ الموصل
١١١ ـ محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي السبتي ابو عبد الله بن عياض[135]	٦٥٥هـ/١٢٥٧م	بغداد
١١٢ ـ محمد بن عبد الله بن احمد بن بن عبد الرحمن بن سلمان الازدي السبتي[136]	٦٦٠هـ/١٢٦١م	بغداد ـ واسط ـ اربيل ـ الموصل
١١٣ ـ محمد بن سراقة ابو عبد الله الشاطي ويكنى بابي القاسم وابي بكر الانصاري ويلقب بمحي الدين[137]	٦٦٢هـ/١٢٦٢م	سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٨م بغداد

---

١٣٢ ـ لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ص٢١٧ ـ ٢١٩

١٣٣ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٣٣٨

١٣٤ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص١٨١ ـ ١٨٣

١٣٥ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ٣٤٣

١٣٦ ـ المراكشي : الذيل والتكملة ق١ ص٣٠٥ ـ ٣٠٦ وفيه انه سمع في بغداد عن اكثر من ٣٩ عالماً ومحدثاً وفقيها

١٣٧ ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٥/٣١٠ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧/٢١٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١/٢٠٨ ، ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ٢/٢٠٦ ،

الخاتمة

أكدت هذه الدراسة حقائق اساسية تكمن في قدرة العراق الحضارية - طيلة الخلافة العباسية - على تمويل الاقطار العربية الاسلامية بكل مستلزمات النهوض الحضاري المماثل لما بلغته في هذا المضمار بحيث سمت مكانتها ..... فجعلوها بين البلدان كالاستاذ بين العباد . او على حد قول اهل المغرب كينبوع العلم والمعرفة يغترف منها كل من قصد اليها ....

كما برهنت بما يكفي من الدقة على ان اهل المغرب قد انهمكوا اولا في فهم الاراء والنظريات المستوردة من المشرق ثم اخذت الثقافة العربية المغربية لاسيما في الاندلس تشعر شيئا فشيئاً بمنعتها وشخصيتها حتى وصلت مرحلة تفرض نفسها على بساط المقارنة مع المستوى الثقافي للبلدان المشرقية التي ارتوت منها سلفاً ... بل تجاوزت على ذلك الى حد التباهي والتفاخر بانتاجاتها العلمية المتنوعة .... لكنها مع ذلك بقيت محتفظة بفضل العراق العلمي عليها وجعلته خارج نطاق موازناتها العلمية مع بلدان الخلافة العباسية الاخرى .

وفي الوقت نفسه هدفت الى تقديم ما يدحظ اباطيل الشعوبية الحاقدة على العروبة والاسلام في كتاباتها التي تسعى من خلالها الى طمس فضل العرب في الميدان الحضاري والثقافي لبلاد الاندلس على وجه الخصوص .

واخيـرا اكدت لنـا هذه الدراسـة ان الرحلات العلميـة المغربية الى العراق وغيرها من اقطار المشرق العربي الاسلامي قد وثقت الاواصر بين بلدان الخلافة العباسية ،وخلقت وحدة فكرية واجتماعية ، لان طواف الكثير منهم بالاقـاليم ربط بـين المشرق والمغرب والغى السدود والحدود وجعل العالم العـربي الاسلامي اشبه بالمدينة الواحدة .

المصادر والمراجع

المصادر

١ ـ ابن الابار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

ـ التكملة لكتاب الصلة

تحقيق عزت العطار الحسني ـ مكتب نشر الثقافة الاسلامية ـ القاهرة ١٩٥٥ والنسخة المحققة من قبل كوديرا ايضا مدريد ١٨٨٧م

ـ الحلة السيراء

تحقيق حسين مؤنس . القاهرة ١٩٦٣م

٢ ـ ابن ابي اصيبعة : موفق الدين احمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) عيون الانباء في طبقات الاطباء

تحقيق الدكتور نزار رضا ـ بيروت ١٩٦٥م

٣ ـ ابن ابي زرع : ابو الحسن علي الفاسي (كان حياً قبل سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

ـ الانيس المطرب بروض القرطاس

دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ١٩٧٣م

ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية الرباط ـ ١٩٧٢م

٤ ـ ابن بسام : ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة

تحقيق احسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٥م

٥ ـ ابن بشكوال :خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)
كتاب الصلة
نشر وتصحيح عزت العطار ـ القاهرة ـ ١٩٥٥م

٦ ـ البكري : ابو عبيد الله عبد الله (٤٧٨هـ/١٠٩٤م)
المسالك والممالك
(القسم الخاص بالمغرب ـ نشره دوسلان) باريس ، ١٩٦٥م

٧ ـ البيذق : ابو بكر بن علي الصنهاجي (كان حيا بعد منتصف القرن السادس الهجري)
اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين
دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ـ ١٩٧١م

٨ ـ ابن جلجل : ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي (ت ٣٧٧هـ/١٠١٥م)
طبقات الاطباء والحكماء
تحقيق فؤاد رشيد ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار المشرقية
القاهرة سنة ١٩٥٥م

٩ ـ الحاجب : جعفر بن علي الكاتب ت ـ القرن ، الرابع

الهجري)

سيرة المهدي الفاطمي

نشر و. ايفانوف . مجلة كلية الاداب المصرية

كانون الاول المجلد الرابع سنة ١٩٣٦

١٠ ـ حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/١٦٤٧م)

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون

استانبول ١٣٤٥هـ/ ١٩٦٤م

١١ ـ ابن حزم : علي بن احمد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م

ـ جمهرة انساب العرب

طبعة القاهرة ١٩٤٨

ـ رسائل ابن حزم الاندلسي

تحقيق إحسان عباس ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت ١٩٨٠

ـ كتاب فضائل الاندلس واهلها

نشر صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ بلا تاريخ

١٢ ـ الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

الروض المعطار في خبر الاقطار

تحقيق احسان عباس ـ طبع دار القلم للطباعة ـ لبنان ١٩٧٥م

١٣ ـ ابن حيان : ابو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
المقتبس في تاريخ رجال الاندلس
عُني بتحقيقه ونشره . ب شالميثا مع ف. كور ينطي .
المعهد الاسباني العربي للثقافة في كلية الاداب ـ الرباط ١٩٧٩م

١٤ ـ ابن دحية : عمر بن الحسن بن علي (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)
المطرب في اشعار اهل المغرب
تحقيق ابراهيم الابياري ـ المطبعة الاميرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م

١٥ ـ الخشني : محمد بن الحارث بن اسد (ت ٣٧١هـ/٩٨١م)
طبقات المحدثين والفقهاء
مخطوط المكتبة الحسنية ـ الرباط ـ رقم ٦٩١٦

١٦ ـ الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
الرحلة في طلب الحديث
تحقيق نور الدين عسكر ـ ط. اولى ـ دمشق ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م

١٧ ـ ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ/١٣٤٧م)
الاحاطة في اخبار غرناطة
تحقيق محمد عبد الله عنان ـ الشركة المصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م

١٨ ـ ابن خلدون : ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ايام العرب والبربر والعجم

طبعة بولاق ، مصر ١٢٨٤هـ وطبعة بيروت ١٩٥٨م
١٩ ـ ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م
وطبعة بيروت ـ تحقيق احسان عباس سنة ١٩٧٧
٢٠ ـ ابن خير الاشبيلي : ابو بكر محمد (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م)
فهرست ما رواه عن شيوخه
منشورات دار الافاق الجديدة ـ بيروت. ط. ثانية. بدون تاريخ
٢١ ـ الدباغ : عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت ٦٩٦هـ/١٣٠٠م)
معالم الايمان في معرفة اهل القيروان
تونس ١٣٢٠هـ/١٣٢٥هـ
٢٢ ـ الذهبي : محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٢٤٧م)
المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله بن الدبيثي

تحقيق. د. مصطفى جواد . مراجعة د. ناجي معروف .
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٧م
٢٣ ـ الرقيق القيرواني : ابو اسحاق ابراهيم (ت بعد سنة ٤١٧هـ/١٠٢٤م
تاريخ افريقية والمغرب
تحقيق المنجي الكعبي ـ تونس ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
٢٤ ـ الزبيدي : ابو بكر (ت ٣٧٩هـ/١٩٦٥م
طبقات النحويين واللغويين
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ـ ١٩٥٤
٢٥ ـ الزرنوجي :
تعليم المتعلم طريق التعلم
طبعة استانبول ـ بدون تاريخ
٢٦ ـ ابن الزيات : ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)
التشوف الى رجال التصوف
تحقيق احمد التوفيق ـ الرباط ـ المغرب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
٢٧ ـ ابن زيدون : ابو الوليد احمد بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م)
الديوان
شرح وتحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، ودار بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
٢٨ ـ السبتي : ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٥٤هـ/١١١٩م)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة اعلام مذهب مالك . (ثمانية اجزاء)

المطبعة الملكية ـ الرباط . ١٩٦٨ ـ ١٩٨٤م

٢٩ ـ السبكي : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

طبقات الشافعية الكبرى .

المطبعة الحسينية ـ القاهرة ـ بلا تاريخ

٣٠ ـ ابن سعيد : علي بن موسى بن عبد الملك (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

المغرب في حلى المغرب

تحقيق شوقي ضيف ـ دار المعارف . مصر . ط . ثانية ١٩٦٤م

٣١ ـ السهيلي : ابو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب (ت ٥٨١هـ/١١٢٦م)

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس

نسخة خطية بدار الكتب المصرية . رقم ١٤٧٣ تيمور

٣٢ ـ السيرافي : الحسن بن عبد (ت ٣٦٨هـ/٩٧٨م)

اخبار النحاة البصريين .

تحقيق الاستاذ كرانكو ، بيروت ١٩٣٦

٣٣ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

تحقيق ابو الفضل ابراهيم ١٩٦٤م

ـ طبقات الحفاظ

تحقيق على محمد عمر ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

٣٤ ـ الشراط : محمد بن محمد بن عيشون
الروض العاطر الانفاس باخبار الصالحين من اهل فاس
مخطوط المكتبة الحسنية
ـ الرباط ـ رقم ٦٤٧ ضمن مجموعة
٣٥ ـ الشماخي : بدر الدين احمد بن عثمان بن سعيد (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م)
كتاب السير (سير علماء ومشايخ جبل نفوسه)
القاهرة ـ طبع حجر سنة ١٣٠١هـ
٣٦ ـ الشيرازي : ابو اسحاق (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م)
طبقات الفقهاء
المكتبة العربية ـ بغداد ١٣٥٦هـ
٣٧ ـ ابن صاحب الصلاة : عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)
تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين
تحقيق عبد الهادي التازي ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
٣٨ ـ صاعد بن احمد بن صاعد (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م)
طبقات الامم
نشر الاب لويس شيخو اليسوعي ـ المطبعة الكاثوليكية لليسوعيين ـ
بيروت ١٩١٢ . وطبعة النجف ـ منشورات
المكتبة الحيدرية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

٣٩ ـ الصفدي : صلاح الدين ابو الصفا خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

الوافي بالوفيات

دار نشر فرانز شتايزفيسبادن ط. ثانية سنة ١٩٦١م

٤٠ ـ الطهطاوي الحنفي : احمد رافع الحسيني القاسمي

التنبيه والايقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ

مطبعة الترقي ـ دمشق ١٣٤٨هـ

٤١ ـ ابن عجيبة : احمد بن محمد بن المهدي (ت ١٠٥١هـ/١٦٤١م)

ازهار البستان في طبقات الاعيان

مخطوط المكتبة الحسنية ـ الرباط ـ رقم ٤١٧

٤٢ ـ ابن عذاري : ابو العباس احمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب

تحقيق خ ـ س. كولان. وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة

بيروت ـ بدون تاريخ

٤٣ ـ ابو العرب القيرواني : محمد بن احمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ/٨٤٤م)

طبقات علماء افريقية وتونس

تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي . الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م

٤٤ ـ ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥)

التاريخ الكبير (تهذيب تاريخ ابن عساكر)
اختصره عبد القادر بدران ـ دمشق ١٣٢٩هـ
٤٥ ـ ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م.)
شذرات الذهب في اخبار من ذهب
نشره القدسي ـ القاهرة ١٣٥٠هـ/١٩٥١م
٤٦ ـ العمري : ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٦م)
مسالك الابصار في ممالك الامصار
نسخة مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩
معارف عامة وتم طبع الجزء الاول منه بالقاهرة
٤٧ ـ ابن عميرة الضبي : احمد بن يحيى بن احمد (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس
طبع في مدينة مدريد ـ بمطبع روخس سنة ١٨٨٤م
٤٨ ـ ابن فرحون : ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)
الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب
تحقيق محمد الاحمدي ابو النور ـ دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة سنة ١٩٧٢م
٤٩ ـ ابن الفرضي : ابو الوليد بن محمد الازدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)
تاريخ علماء الاندلس
الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦م

٥٠ ـ ابن القطان : ابو الحسن علي بن محمد الكتاني الفاسي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)
نظم الجمان في اخبار الزمان
تحقيق الدكتور محمود مكي ـ نشر كلية الاداب ـ بجامعة محمد الخامس ـ
الرباط ـ الجزء السادس منه ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م
٥١ ـ القفطي : جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم (٥٩٣هـ/١١٤٨م)
اخبار العلماء باخبار الحكماء . الموسوم (بتاريخ الحكماء)
طبعة ليبزج ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م
٥٢ ـ ابن القوطية : ابو بكر محمد القرطبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)
تاريخ افتتاح الاندلس
تحقيق عبد الله انيس الطباع ـ دار النشر للجامعيين ـ بيروت ١٩٥٧م
٥٣ ـ الكتبي : محمد بن شاكر بن احمد بن احمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
فوات الوفيات
تحقيق احسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٣م
٥٤ ـ ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية في التاريخ
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م

٥٥ ـ المالكي : ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله
رياض النفوس
نشر حسين مؤنس ـ مكتبة النهضة ـ مصر ـ ط. اولى سنة ١٩٥١م
٥٦ ـ مجهول :
اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها
تحقيق لافونيت دي الكنترا ـ مدريد ١٨٦٧م
٥٧ ـ مجهول : اندلسي من اهل القرن الثامن الهجري انجز تاليف كتابه
سنة ٨٧٣هـ/ ١٣٨١م
الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية
تحقيق د. سهيل زكار ـ الدار البيضاء ١٩٧٩م
٥٨ ـ ابو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م
٥٩ ـ المراكشي : ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م)
كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة
تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ـ الرباط ـ ١٩٨٤م
٦٠ ـ المراكشي : عبد الواحد ابو محمد (كان حياً سنة
٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م) وهي السنة التي انتهى فيها من انجاز

تأليف كتابه وقيل انه توفى سنة ٦٤٧هـ/١٢٣١م
المعجب في تلخيص اخبار المغرب
الطبعة الاولى ـ دار الكتب ـ الدار البيضاء ١٩٨٧م
٦١ ـ المقري : احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
تحقيق احسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨م
٦٢ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
اتعاظ الحنفا
طبعة القدس . سنة ١٩٠٨م
٦٣ ـ النباهي : ابو الحسن بن عبد السلام المالقي الاندلسي (كان حياً سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)
تاريخ قضاة الاندلس : (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)
بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ
٦٤ ـ ابن النديم : محمد بن اسحاق الوراق (كتب مصنفة سنة ٣٧٧هـ)
كتاب الفهرست
طبعة ليبزيج ١٨٧٢ . وطبعة المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٤٨م
٦٥ ـ ابن هاني الاندلسي : ابو القاسم محمد الازدي (ت ٣٦٢هـ/٩٧٢م)
الديوان

تحقيق كرم البستاني - بيروت - دار صادر للطباعة والنشر
١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
٦٦ - ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
- معجم البلدان
دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٥م
- ارشاد الاريب او معجم الادباء
اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س. مرجليوت
الطبعة الثانية - مطبعة هندية - مصر - ١٩٢٣م

المراجع

- ارسلان : شكيب (ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٥م)

الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية

المطبعة الرحمانية ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة

١٣٥٥هـ ـ ١٣٥٨هـ

٢ ـ امين : احمد

ضحى الاسلام

مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م

٢ ـ البنتوني : محمد لبيب

رحلة للاندلس

الرباط ـ ط.. اولى سنة ١٩٨٧

٤ ـ التواني : عبد الكريم

مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس

مكتبة الرشاد . الدار البيضاء ١٩٦٩

٥ ـ جوليان : اندريه

تاريخ افريقيا الشمالية

تونس . ط. ثانية سنة ١٩٨٣

٦ ـ حركات : ابراهيم

المغرب عبر التاريخ

مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء سنة ١٩٨٤

٧ ـ الحجي : عبد الرحمن علي
اندلسيات
بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م

٨ ـ حجي : محمد
(المدرسة النحوية الاندلسية المغربية ودور سبتة فيها)
مقالة في كتاب سبتة ودورها في اثراء الفكر الاسلامي ـ
جمعية الثقافة الاسلامية في تطوان ـ المغرب
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

٩ ـ خلوصي : صفاء
فن التقطيع الشعري والقافية. ط. الرابعة ـ بيروت ١٩٧٤م

١٠ ـ الدوميلي :
العلم عند العرب
ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ـ القاهرة ـ دار
القلم ١٩٦٢م

١١ ـ راضي : علي محمد
الاندلس . . . والناصر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧

١٢ ـ الركابي : جودت
في الادب الاندلسي
دار المعارف بمصر. ط. ثالثة سنة ١٩٦٠م

١٣ ـ الزركلي : خير الدين

الاعلام
طبعة القاهرة - ١٩٥٤ - ١٩٥٩
طبعة بيروت ١٩٧٠
١٤ - الزواوي : الطاهر احمد
تاريخ الفتح العربي في ليبيا
القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣
١٥ - السامرائي : خليل ابراهيم
دراسات في تاريخ الفكر العربي
مديرية دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل
١٦ - الشكعة : مصطفى
القاضي عياض بين مناهل العلم العلم والادب
مقالة . مجلة المناهل - الرباط - العدد ٢١
١٧ - صادق : جعفر حسن
الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق عصر الامارة
١٣٨ - ٣١٦هـ/٧٥٥ - ٩٢٨م
رسالة ماجستير غير مطبوعة - كلية الاداب - جامعة الموصل
١٩٨٥م
١٨ - صبحي : احمد محمود
في علم الكلام
الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٨م
١٩ - الصوفي : خالد
تاريخ العرب في الاندلس

٢٠ ـ طارو : جان جيروم
ازهار البستان في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين
ترجمة احمد بافريج ومحمد الفاسي . المطبعة الوطنية ـ الدار البيضاء ١٣٤٩هـ
٢١ ـ طه : عبد الواحد ذنون
دراسات اندلسية
مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل ١٩٨٦
٢٢ ـ طوقان : قدري
العلوم عند العرب
القاهرة ـ (مكتبة مصر) ـ ط. اولى ١٩٥٤م
ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك
دار القلم ـ القاهرة ـ ط. ٣ سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م
٢٢ ـ العبادي : احمد مختار
في التاريخ العباسي والاندلسي
بيروت ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٢
٢٣ ـ عبد الحميد : سعد زغلول
تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة والرستميين والادارسة
القاهرة ـ دار المعارف
٢٤ ـ عبد الرحمن : حكمت نجيب
تاريخ العلوم عند العرب
جامعة الموصل ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

٢٥ ـ عبد الوهاب : حسن حسني
ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية
مكتبة المنار ـ تونس ١٩٧٢
٢٦ ـ عنان : محمد عبد الله
دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة
القاهرة ١٩٤٣م
٢٧ ـ كحالة : عمر رضا
معجم المؤلفين
مطبعة الترقي ـ دمشق ١٩٠٩م
٢٨ ـ ليفي : بروفنسال
ـ حضارة العرب في اسبانيا
ترجمة ذوقان قرقوط ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت
ـ اسبانيا المسلمة في القرن العاشر : نظم وحياة اجتماعية
باريس ١٩٣٢
٢٩ ـ ماك كيب : جوزيف
مدنية المسلمين في اسبانيا
مكتبة المعارف ـ الرباط ـ ط. ثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
٣٠ ـ المراكشي : عباس بن ابراهيم (ت ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)
الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاسلام
تحقيق عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية ـ
الرباط ١٩٧٦
٣١ ـ معروف : ناجي

تاريخ علماء المستنصرية
بغداد ـ مطبعة العاني ط. اولى سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م
٣٢ ـ مطلب : محمد عبد اللطيف
تاريخ العلوم الطبيعية
بغداد سنة ١٩٧٨
٣٣ ـ المنوني : محمد
العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين
الرباط ـ دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
ط. ثانية سنة ١٩٧٧م
٣٤ ـ الناصري : ابو العباس احمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى
طبعة الدار البيضاء ـ تسعة اجزاء ـ سنة ١٩٥٦م

٣٥ ـ Brocklemann, carl: Geschte der Arabischen Litteratur, Leiden 1943

٣٦ ـ EL — souFi, Khaled; Los Banu yahwar en cardoba — Espena 1968

٣٧ ـ Rashed, Bassam Yassen: Abu Ali Al Qali, suvidoy suobra : Analisis Especial de sus Transmisioneses Linguistieol iterias, Granada 1920

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٧ لسنة ١٩٩١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة



دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر .. ديناران

بغداد - ١٩٩١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة